دَعنِي أنتَشِلك

دعني أنتشلك
الكاتبة: أماني حسن عبد الخالق
إخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 25039 / 2019
الترقيم الدولي: 2 - 078 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع **:Facebook Page**
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

دَعِني أنتشِلك

-رواية-

الكاتبة

أماني حسن

دار الزيان للنشر والتوزيع
صدق حلمك يتحقق

مقدمة

دعني أنتشلك من فوضتك، تشتتك وحزنك، دعني أنتشلك مما يحيط بنا من أحداثٍ سريعة، تمزقنا أحيانًا، وتجعلنا أكثر نضجًا أحيانًا أخرى.

دعني أصطحبك داخل عملٍ مستوحى من قصصٍ حقيقة قد حدثت بالفعل، عملٍ قد يؤلمك ولكنك ستجد ذاتك فيه، وإن كان بحرف أو كلمة أو حتى بقصة من قصصه، عملٍ حاولت كثيرًا أن أجعله يعبر عمن حولنا مِن أشخاص عانوا ولم يسلموا من الحياة مثلي ومثلك، ولكنني كنت أنانية بعض الشيء فجعلته يعبر عني أولًا وعنكم ثانيًا، وأعتذر عن ذلك، ولكنني مثلكم قد عانيت وتمزقت وتمكنت مني السوداوية والأفكار الانتحارية، ولكنني قد قاومت ونهضت أكثر قوة ونضجًا وإقبالًا على الحياة.

لقد استطعت أن أحافظ على نقاء قلبي وتميز جوهري، لقد تعلمت وأصبحت أكثر صلابة، فبحثت عمَّن هم مثلي ولكنني وللأسف قد

وجدت من هم أكثر بؤسًا ومعاناة مني، هؤلاء الذين لم يسلموا من قسوة الحياة ولعنة الاكتئاب مثلي، ولكنهم قد كانوا أكثر ضعفًا، ويحيط بهم أناسٌ أشد قسوة فتستسلموا لتلك الأفكار اللعينة من الانتحار والسوداوية، فقررت الكتابة عنهم وقد صدمني الواقع عما كنت أتصور فعندما اكتشفت بأن عددًا الشباب الذين يعانون من الاكتئاب وغيره حول العالم وفي وطننا على وجه الخصوص ليسوا بالأقلاء؛ بل بالمئات والآلاف، والذين لا يرحمهم المجتمع أيضًا فيقوم بسحقهم، بينما ينعتهم بالمجانين والمرضى النفسيين بدلًا من أن يستوعبهم ويحتويهم، فيدفعهم دفعا نحو الإدمان أو الانتحار، ثم يلقي اللوم عليهم دون أي رحمة، إننا أمام مشكلة حقًّا تستحق التفكير والتوقف عندها.

ولا أعلم إن كان هذا العمل سينال إعجابكم أم لا، ولكنه يعني لي الكثير، فتلك الخبرة التي اكتسبتها منه كانت تستحق مجهودي وطاقتي، فقد أكون قد فشلت في هذا العمل، ولكنني على الأقل فتاة لم تتجاوز العشرين من عمرها، حاولت المساعدة والتعبير عن الآخرين فأتمنى أن

تجدوا ذواتكم بداخل هذا الكتاب، وإن كان بحرف واحدٍ، فلعل ذلك يشعركم بالاطمئنان، وبأن هناك شخصًا ما في مكان ما استطاع أن يعبر عما يعتري صدوركم من حزن ومعاناة لم تستطيعوا البوح بها يومًا.

❋ ❋ ❋

لقد كان يومًا هادئًا كالعادة، تجلس ندى فيه أمام حاسوبها بمقر الجريدة الرسمي بحي الزمالك، تجلس لتنهي مما وراءها من تقارير ينبغي عليها تسليمها في نهاية اليوم، فندى فتاة في منتصف العشرينيات من العمر، فتاة مرحة ومليئة بالطاقة والحيوية، ولكن كل ذلك تحول فجأة لصمت تام بعد وفاة والديها منذ ما يقارب الثلاث سنوات في حادث سيارة شنيع، ومنذ ذلك الوقت وهي أصبحت هادئة للغاية، تعيش بمفردها في شقة والديها، ليس لديها الكثير من الأقارب أو الأصدقاء، لا تفعل الكثير، فقط تستيقظ كل صباح فترتشف فنجانًا من القهوة، ثم تذهب لعملها تقضي اليوم بالكامل في إنهاء التقارير المطلوبة

منها دون أن تخوض في أي مناقشات مع زملائها فلقد أصبحت فاقدة للطاقة وتتجنب الحديث مع البشر بوجه عام، فلقد أصبحت تخشاهم للغاية، ولا تحبذ قربهم لقد أصبحت حياتها روتينية ومملة للغاية، ولكن كل ذلك تغير منذ ذلك اليوم الذي كانت تجلس فيه وتنهي ما وراءها من تقارير، عندما استدعاها رئيس التحرير أستاذ حسن الخطاب فذهبت إليه بقلب تتسارع دقاته، فأستاذ حسن كان صديقًا لوالدها وهو صاحب جريدة الواقع التي تعمل هي بها الآن ولن تنسى له فضله عليها، فلقد ساعدها كثيرًا بعد وفاة والديها، وكان السبب في نزولها وعودتها لممارسة عملها من جديد.

ولقد مرت العديد من الأشهر دون أن تلمحه في مقر الجريدة؛ فلقد كان مشغولًا بالكثير من المؤتمرات داخل وخارج البلاد، وكانت تلك مقابلتهم الأولى بعد عودته من السفر، فطرقت ندى باب مكتبه بثبات تام وعندما أذن لها بالدخول فقامت بذلك بالفعل ثم جلست على ذلك الكرسي المواجه له، وبابتسامة رقيقة يعتليها التساؤل عن سبب

استدعائها قالت: صباح الخير، حضرتك طلبت تشوفني خير فيه حاجة؟!

فرد عليها بابتسامة يملؤها الوقار محاولًا التخفيف من توترها فقال: صباح النور على أشطر صحفية عندي هنا في الجريدة، وبعدين هو لازم يكون فيه سبب معين عشان أطلب أاشوف بنت صاحب عمري واطمن عليها؟

فردت ندى سريعًا محاولة إصلاح ما قالته فقالت سريعًا: لا أبدًا، طبعًا مش لازم يبقى فيه سبب، أنا بس حضرتك باسأل وما كنتش أقص..

فقاطعها قائلًا وهو يبتسم: اهدي يا حبيبتي اهدي، ما لهوش لازمة كل التوتر دا، أنا فاهم قصدك كويس وفعلُا أنا عايزك في موضوع مهم.

- موضوع إيه حضرتك؟

فرد عليها سريعًا قبل أن يتملك منها التوتر من جديد فقال: طبعًا انتِ أكيد سمعتِ عن قضية انتحارالولد اللي عنده 18 سنة اللي حصلت النهاردا الصبح.

- آه طبعًا سمعت بس برضه دا إيه علاقته باللي حضرتك عايزني فيه؟

- هو دا الموضوع اللي عايزك فيه يا ندى.

فقالت وقد ظهرت على وجهها علامات الدهشة والتعجب: ماعلش حضرتك مش فاهمة.

- أنا هافهمك كل حاجة، بصي ياستي، أنا عايزك تكتبي عن الموضوع دا، وقبل ما تقولي إن بالفعل الموضوع اتكتب عنه ونزل في طبعة النهار دا أنا عايزك تفهميني، أنا مش عايزك تكتبي عن الولد دا بعينه لأ؛ أنا عايزك تكتبي عن موضوع الانتحار بشكل عام، الولد دا فيه زيه كتير واحنا عايزين نلحقهم أو على الأقل نفهمهم ونفهم يعني إيه انتحار بجد، وإيه المشاعر اللي بتسيطر عليهم وبتدفعهم إنهم يعملوا كدا يا ترى الاكتئاب ولا الحزن ولا الوحدة ولا إيه بالظبط؟ انتِ فهماني يا ندى؟

فردت ندى وهي تحاول استيعاب ما يقوله وتحاول السيطرة على كل تلك التساؤلات التي تدافعت برأسها دفعة واحدة: فاهماك حضرتك

بس باحاول استوعب اللي حضرتك بتقوله، الموضوع فعلًا مهم بس كبير جدًّا وانا مش عارفة إذا كنت هاقدر عليها ولا لأ، أنا ما اتعاملتش مع حاجة زي دي قبل كدا ومش عارفة بجد.

فقال وهو يحاول تهدئتها: أنا قادر استوعب كم المسؤولية اللي أنا باحطها عليكِ دلوقتي، وعارف إن الأمر مش سهل، بس برضه أنا متأكد إن اللي قاعدة قدامي دي هي أكتر واحدة هتعرف تعمل الموضوع دا كويس، أنا عايزك تطلعي من صدمتك من موت باباكِ ومامتك وترجعي ندى بتاعة زمان، البنت العفوية المليانة شغف ومافيش حاجة تقدر تقف قدامها، عايزك تصحي روح المحاربة اللي جواكِ وتعملي اللي طلبته منك، أنا عارف إن الموضوع صعب بس واثق من إنه هيساعدك قبل ما هيساعد ناس كتير، غيرك وخلاص أنا خدت قراري، ومن النهار دا اعتبري نفسك في إجازة لحد ما تخلصي الموضوع دا، ومش عايز أشوفك في الجريدة غير على الشهر اللي جاي وانت معاكِ التقرير خلصان.

وباستسلام شديد قد وافقت ندى ثم غادرت المكتب بعد أن سمح لها بالانصراف، غادرت بينما ما زالت الكثير من الأسئلة تلتهم رأسها والكثير من علامات الدهشة على وجهها، فلقد أصبحت أمام أمرٍ واقعٍ لا تستطيع فعل شيء أمامه سوى تنفيذه، سواء شاءت أم أبت.

❋ ❋ ❋

خرجت ندى من مكتب رئيس التحرير وهي أمام واقعٍ لا تستطيع رفضه، فاتجهت نحو مكتبها الخاص بالمقر وجلست به ما يقارب العشر دقائق تلملم فيهم أفكارها وأشياءها الخاصة، ثم أخبرت زملاءها بأنها ستتغيب لبعض الوقت عن العمل لكي تنجز بعض الأمور الخاصة بحياتها، ثم هربت منهم سريعًا قبل أن يقوموا بسؤالها عن أشياء لا تستطيع هي أن تجاوب عليها حتى لذاتها، فنزلت من مقر الجريدة ثم صعدت لسيارتها وانطلقت نحو منزلها في سرعة غير معتادة عليها، وكأنها تهرب من كل ذاك الخوف والقلق الذي ملأها ومن كل تلك التساؤلات التي برأسها، وبعد أقل من النصف ساعة كانت ندى داخل

غرفة نومها بمنزلها المطل على النيل، بعد أن بدلت ملابسها وارتد ملابسها الخاصة بالنوم، كانت تجلس على سريرها مشتتة للغاية، ولقد كان الوقت قد قارب على السابعة مساءً، كانت تجلس تحاول تستوعب ما طلب منها وماذا عليها أن تفعل، ما تلك المشاعر السوداوية التي ينبغي عليها التحدث عنها؟ وذاك الانتحار اللعين الذي لم تسمع عنه سوى في التلفاز؟ فهي على أعتاب عالم مجهول ومموه بالنسبة لها، إن الأمر يتطلب منها الكثير من المجازفة، فلقد كانت ندى ابنة أبويها الوحيدة، ولكنها لم تكن مدللة لذاك الحد الذي يجعل منها شخصًا تافهًا لا يعتمد عليه، بل بالعكس تمامًا فلقد كانت ناجحة في حياتها العلمية والعملية على سواء، لقد كانت شخصًا مليئًا بالحماس وتسعى لتحقيق الكثير من الأحلام والأهداف في حياتها، ولكنها لم تتكلم يومًا على تلك المشاعر السوداوية وإن كان عليها الكتابة عنها فيجب أن تبحث عنها وعن هؤلاء الناس الذين عاصروها ومروا بها، ولكنها لا تعرف أحدً قد مر بذلك، أو بمعنى أصح لم تحاول هي من قبل أن تعلم إذ كان هؤلاء

الأشخاص الذين مروا على حياتها بخير أم لا، فلم تحاول يومًا التوغل في حياتهم، فلقد كانت علاقتها بهم سطحية حتى مع ذاتها، فلا تتذكر أنها قد واجهت ذاتها من قبل، ثم وجدت نفسها تفتح حاسوبها الخاص وبدأت في البحث والقراءة عن كل تلك المشاعر السوداوية من حزن واكتئاب وغيرها، تقرأ هنا وهناك في كتب علم نفس والفلسفة وغيرها، ظلت كذلك ما يقارب الثلاث ساعات تبحث هنا وهناك، تقرأ أشياء لا تقدر على استيعابها ولم تزِدها غير تشتت ومعاناة، ولم تستطع أن تصل لنقطة بداية محددة يمكنها البدء منها، وأثناء كل تلك الأشياء التي تجول برأسها غطت ندى في نومٍ عميق وكأن جسدها لا يقدر على استيعاب كل ذاك المجهول الذي بانتظاره، فهرب من كل ذلك بالنوم..

إنها الواحدة ظهرًا، تستيقظ ندى من نومها فتقوم من سريرها بصعوبة شديدة، وكأن العالم أجمع قد وقع على أعتاقها، فهي لم تنم كل تلك الساعات الطويلة من قبل، قامت وهي تنوي أن تتخذ خطوة جادة في ذاك الموضوع، وأنه يتوجب عليها البدء من اليوم كي لا يتبخر الوقت

منها دون أن تدري، فعقدت النية ثم أخذت حمامًا دافئًا لكي تستعيد نشاطها، ثم جلست في شرفة منزلها تفكر بينما ترتشف فنجانًا من القهوة وتستمتع بجمال النيل الخلاب، فلعل تلك المناظر البديعة أمامها تساعدها على الاسترخاء والتفكير بشكل صحيح.

وبالفعل قد حدث ذلك، فبينما كانت تجلس تفكر لمعت برأسها ذكرى قديمة ستكون نقطة بداية لها، فلقدت تذكرت صديق طفولتها أحمد الغزالي، ذاك الفتى الذي قضت معه أسعد لحظات حياتها، فلقد كانا أصدقاء مقربين للغاية، ولكن كل هذا قد انتهى للأسف عندما كانا على وشك الانتقال للمرحلة الإعدادية، فلقد انتقل والد أحمد للعمل بأحد البلاد العربية، وبالطبع قد سافرت معه زوجته وأبناؤه الثلاثة الذي كان أحمد أوسطهم، فانقطعت جميع طرق التواصل بينهما حتى وقت قريب قبل وفاة أبويها بأسبوع.

فلقد تقابلا صدفة في أحد المراكز التجارية، ولم يتجاوز حديثهما الخمس دقائق، فهي تتذكر أن أحمد كان على عجلة من أمره، كان

يتحدث في الهاتف ويخبر بعض الأشخاص بأنه تأخر على الموعد ولكنه قادم الآن، وتتذكر أيضًا بأنه قبل أن يرحل أخبرها أنه أصبح يعمل طبيبًا نفسيًّا الآن بإحدى المصحات النفسية، وقد أعطاها رقم هاتفه الجديد لتستطيع التواصل معه إن احتاجت لأمرٍ ما.

تذكرت كل هذا الآن ولا تعلم لماذا ترددت في التواصل معه كل تلك الفترة الماضية، لا تعرف ما السبب الذي منعها من ذلك ولكنها تعلم الآن بأنها تحتاج لمساعدته وبشدة، وبأنه سيكون البداية الصحيحة في طريق بحثها بحكم أنه أكثر خبرة منها في ذاك المجال، فبالطبع قد مر عليه الكثير من الناس، من كان حزينًا منهم أو من كان يشعر بالوحدة أو مقبلًا على الانتحار، سيساعدها من خلال خبرته وعمله في تلك المصحة على التقرب من هؤلاء الناس ومعرفتهم ومعرفة ماهية تلك المشاعر التي شعروا بها ودفعتهم للعزلة أو الانتحار، فأصبح المجتمع يمقتهم ويلعنهم دون أن يعرف ما دفعهم لذلك، فلم يحاول المجتمع يومًا معرفة من هم أو ماذا يكونون، لمَ أعينهم منطفئة هكذا ويملؤها الحزن

والتشتت؟ لمَ يشعرون بتلك المشاعر المميتة؟ لمَ ابتسامتهم باهتة ووجوهم شاحبة لهذا الحد؟ لمَ يشعرون بالاضطهاد وأن لا أحد قادرٌ على استيعابهم أو الشعور بهم؟ لمَ يدعون القوة بينما يسهل تميز هشاشتهم من بين مئات الجموع؟ لمَ يسجنون أنفسهم في عالم الظلام والأحزان؟ ذاك العالم الموحش واللعين، هل لأنهم وجدوا به الأمان والبساطة على العكس من عالمنا المشبع بالخذلان والخداع والممتلئ بالمزيفين؟ أم لأنهم ضعفاء.. ضعفاء للحد الذي يعيق خروجهم من هذا العالم البغيض الذي يقتلهم ويلتهمهم على مهل دون أن يعير أي اهتمام أو رحمة لهم أو لآهاتهم؟ فهل هم حقًّا تعساء لهذا الحد؟ أم إنهم أصبحوا فقط مدمنيين لهذا العالم ورافضين لواقعهم فقط لخوفهم من ترك المألوف لهم والذهاب لما هو أبشع وأقسى فلا يستطيعون إكماله ولا يستطيعون التراجع عنه فيصبح مصيرهم السحق في ذاك المنتصف المميت الذي لن يرحمهم مثلما لم يرحمهم ماضيهم؟ ولم يسمح لهم واقعنا بالتعبير عن أنفسهم أو التغير للأفضل، فهل هم حقًّا غير مبالين لهذا الحد؟ أم إنهم

فقط يتصنعون ذلك البرود الذي يسهل إذابته؟ ولكنهم يدعون الثبات! فهل يستمتعون بهذا الغموض والعمق اللذين يتلونان بهم ويختبآن وراءهما؟

فهل حقًّا الحزن يمزقهم ويحرقهم حتى أصبحوا مجرد رماد مبعثر لا نقدر على تجميعه وإعادته للحياة مرة أخرى؟ أم إنهم فقط أصبحوا يتمسكون بهذا الحزن الذي اعتادوا عليه؟ وهل تلك إيجابية أم سلبية؟ وبمنظور من يجب تحديدها؟ فلمَ يدخلون لحياتنا يبعثونها ويعلقون قلوبنا المرهقة بهم ثم يرحلون دون أن يعيروا أي اهتمام لصرخاتنا ومطالبة عقولنا بفهم ما يفعله بنا هؤلاء؟! فهل ينتقمون منا لأسباب لم يكن لنا فيها أي ذنب؟ فهل يتلذذون بذلك ويريحهم جرحنا ويشفي غليلهم انكسارنا ودموعنا؟ فهل ينتقمون من ماضيهم وتشتتهم بإذلالنا؟ وهل هم على صواب أم على خطأ؟ وهل هذا هو السؤال المفترض طرحه من الأساس أم علينا التساؤل من منا الذي على صواب ويفهم الحياة نحن أم هم؟ فماذا لو كانت جميع مفاهيمنا خطأ؟ وماذا لو

قلبت المعايير ووجدنا أنفسنا الجناة الحقيقيين وهم المجني عليهم ظلمًا وقهرًا؟ فهل لوجودنا أثر ملموس حقًّا في حياتهم أم هم الذين يتوغلون إلينا ويتملكوننا؟ فهل هم الذين يجعلونا أكثر استيعابًا ونضجًا أم هم الذين يطفئون بريقنا دون أن يشعروا بأي ذنب تجاهنا؟ وكأن هذا حق مكتسب لهم يشبع ويملأ ذلك النقص بداخلهم.

لمَ يكابرون ويقاومون؟ ولمَ يطالبون باحتوائهم وهو ينفرون منا في ذات الوقت؟ ما هذا التشتت والخلل؟! لمَ لا يسمحون لنا بفهمهم ومعرفتهم وبالتالي معرفة الحقيقة ومعرفة أنفسنا معهم فنعلم وجهتنا وعلى أي الطرق نقف، فمن منا يؤدي للطريق الصحيح أم إن كلينا يقف مشتتًا في ذلك المنتصف الذي سيسحقنا جميعًا بدون أي رحمة؟ لمَ لا ينتمون إلينا؟ ولمَ يشعرون بأنهم ينتمون لعالم آخر مختلف تمامًا في كل شيء (اللون، الموسيقا، الفكر، المفاهيم، وحتى طريقتهم في التعبير عن أنفسهم)؟ ولمَ لا يسمحون لنا بمشاركتهم في هذا حتى؟

فيا إلهي ما هذا الجحيم حقًّا؟! فهل هم يستمتعون بفعل كل تلك الأشياء التي دفعت البعض للنفور منهم وملأتني شغفًا للبحث عنهم

ومعرفتهم؟ لا أعلم حقًّا؛ ولكن كل ما أعلمه أن تلك التساؤلات ستنتهي قريبًا.. قريبًا جدًّا، وسيكون أحمد وتلك المصحة التي يعمل بها هما النهاية لتلك التساؤلات اللعينة، والبداية لطريق بحثها المموه بالكثير من المغامرات والمجازفات..

❋ ❋ ❋

إنها الثامنة والنصف صباحًا، حيث ينتهي أحمد من طعام الإفطار الخاص به والمصحوب بفنجان من القهوة خالية السكر كما يحبها دائمًا، ثم قام بأخذ حقيبته الخاصة والتي تحتوي على ملفات المرضى الخاصة به وملاحظاته على الحالة النفسية لكل منها، فلقد تولى متابعة حالتهم في الآونة الأخيره، بعد سفر صديقه بالعمل لقضاء الإجازة الصيفية مع زوجته وأولاده في أحد البلاد الأجنبية المشهورة بمنتجعاتها السياحية الساحرة والخلابة، مما زاد من ضغط العمل على أحمد، ولكنه لا يجد في ذلك أي مشقة بأن يقضي كامل وقته بالمصحة النفسية بين مرضاه؛ فهو لا يفعل الكثير بحياته، حيث إنه يعيش وحيدًا في شقته بحي المعادي منذ

أن جاء من الإمارات تاركًا خلفه والديه وإخوته، حيث جاء لمصر ليستقل بحياته ولإيجاد عمل مناسب له بموطنه، فهو يتذكر جيدًا هذا اليوم الأول الذي عاد به لمصر بعد غياب استمر لخمسة عشر عامًا، حيث واجه الكثير من الصعاب فور قدومه للوطن، ومن أهمها فقده لبطاقة هويته ولجواز السفر الخاص به، والذي لا يدري أين أضاعهما، فهل قام بنسيانهما في سيارة الأجرة التي قام باستقالتها من المطار لكي توصله لمحل إقامته بالمعادي؟ أم إنهم قد وقعوا منه أثناء تنظيفه للمنزل وتنظيم مقتنياته؟ فهو لا يعلم حقًّا، ولكن كل ما يعلمه أنه منذ قدومه لتلك الشقة التي ولد وتربى بها في صغره وكل شيء يذكره بندى، تلك الفتاة الصغيرة التي رآها عندما كان بالصف الثالث الابتدائي، أي منذ ما يقارب ثمانية عشر عامًا..

رآها تجلس وحيدة بفناء مدرستهم الابتدائية المشتركة، بينما كان جميع الأطفال يلعبون عدا هي، فقد كانت تجلس وحيدة في إحدى الزوايا البعيدة، لا تفعل شيئًا سوى أنها تجلس منكمشة على ذاتها وتنظر للسماء بثبات تام، بينما يداعب الهواء خصلات شعرها المتطايرة، مما أضاف إليها

سحرًا غير عاديٍّ وهذا كله قد ملأ أحمد بالفضول تجاهها، فذهب وجلس بجوارها بدون تردد أو خوف، فبرغم صغر عمرهما حين ذاك ولكن كان هناك شيء غريب يدفعهما نحو بعضهما البعض، وكان ذاك اليوم هو بداية تعارفهما.

ومن ثم توالت الأحداث من بعد ذلك، فأصبحا صديقين، ثم صديقين مقربين، ومع مرور الوقت بينهما اكتشف أحمد في ندى أشياء لم يكن يتوقعها؛ فتلك الفتاة التي كانت تجلس هادئة للغاية في هذا اليوم وجد أنها مفعمة بالحيوية والنشاط، فتاة عفوية ومرحة للغاية، فهو يتذكر تمامًا حبها للدراسة وتفوقها أيضًا عليه أثناء دراستهما معًا، فلقد كانا في نفس الصف ولكنها كانت تسرق الأضواء منه ومن الصف بأكمله دون بذل أي مجهود يذكر، فلقد كانت عفويتها وذكاؤها كافيين لفعل ذلك.

لقد جمعتهما الكثير من الأشياء التي جعلتهما يستمتعان كثيرًا وهما برفقة بعضهما البعض، لقد كانا بريئين للغاية، ولم يكونا على علم بشيء سوى حبهما للتواجد معًا دائمًا.

ولكن وللأسف ومثل جميع الأشياء التي لا تدوم للأبد؛ انتهى كل هذا فجأة، عندما سافر أحمد مع والديه وإخوته للإمارات، حيث حصل والده على عمل هناك، ومنذ ذلك الوقت انقطع اتصاله بندى نهائيًّا، ولكن هذا لم يمنع ذكرياته من الحنين لها ولتلك الأيام الساذجة والرائعة التي جمعتهما سويًّا، فلقد نما وكبر بالغربة وكل ما به يزداد حبًّا واشتياقًا لها، ولذلك عندما أتيحت له فرصة الرجوع للوطن لكي يستقل بحياته ويبدأ العمل بتلك المصحة النفسية الذي ساعده في الحصول عليها صديق قديم له بالقاهرة، فانتهز تلك الفرصة ليعود ويشبع أخيرًا حنينه نحو وطنه الأم مصر، ووطنه الخاص ندى.

جاء وهو لا يعلم كيف يصل لها أو يعثر عليها، ولكنه كان على يقين تام بأن القدر سيجمعهما من جديد عاجلًا أو آجلًا، وبالفعل ما لبث أن حدث هذا سريعًا بعد قدومه لمصر بثلاثة أسابيع، حيث كان يجلس في أحد المقاهي المعروفة بأحد المراكز التجارية الشهيرة، يرتشف فنجانًا من القهوة، وما كاد ينتهي من تناولها حتى جاءه اتصال من صديقه يخبره بأنهم قد عثروا على جواز سفره ملقًى في أحد الشوارع القريبة من منزله،

وقد عثر عليه أحد المارة، وقد قام بتسليمه لمركز الشرطة التابع لحي المعادي، وبأنه يتوجب على أحمد أن يذهب لهناك في الحال لكي يسترجع جواز سفره.

قام أحمد سريعًا وهو ما زال يحادث صديقه عبر الهاتف فرحًا بهذا الخبر السار، وفي طريقه للرحيل اصطدم بها فجأة، ويا لسخرية القدر، فلقد كانت تلك الفتاة التي ما زال يعشقها لسنوات وسنوات، لقد كانت ندى صديقة طفولته، والذي ظل حنينه إليها يعذبه لليالٍ كثيرة دون توقف!

ظل يحملق بها لخمس دقائق كاملة، يحاول استيعاب ما حدث بالفعل، فهل حقًّا قد جمعهما القدر سويًّا أخيرًا مثلما كان يؤمن بذلك؟ فهي ما زالت كما هي ممتلئة بتلك الجاذبية التي لا يقدر أحد على مقاومتها، وقد أصبحت أكثر جمالًا من ذي قبل، بعينيها البنيتين الواسعتين، وبخصلات شعرها السوداء التي ما زالت تتطاير مع نسمات الهواء فتخبئ وجهها ناصع البياض، والذي يشع ضوءًا كالقمر، إنها ساحرة بكل ما تحتويه الكلمة من معنيز

لم يستطع منع تدفق مشاعره تجاهها فسيطر عليه التوتر والارتباك بينما يقوم بمصافحتها بحنين بالغ، ولم ينتشله من تلك الصدمة سوى صديقه الذي ما زال على الهاتف والذي يقوم بإخباره بأنه بانتظاره لكي يذهبا سويًّا لإحضار جواز السفر، وبأن على أحمد الإسراع قليلًا، مما جعل أحمد أكثر ارتباكًا، فهو عليه الرحيل لأن صديقه ينتظره، بينما قلبه يتصارع ليبقى معها، فلم يعلم ماذا يفعل، فوجد نفسه يخرج قلمًا من جيبه ثم كتب على أحد الكتب التي كانت تحملها ندى في يديها رقم هاتفه، وأخبرها بأنه عليه الرحيل الآن وبأنه ينتظر اتصالها به في أي وقت تحتاج فيه للمساعدة.

مرت الآن ثلاث سنوات منذ تلك المصادفة التي أحيته من جديد، ثلاث سنوات لم يفعل شيئًا فيها سوى انتظار مكالمتها له، ولقد كان على وشك أن ينفد الأمل في الوصول إليها من جديد حتى تغير كل ذلك فجأة ليلة أمس، عندما كان على وشك الذهاب لعمله فوجد هاتفه يرن، وعندما قام بالإجابة توقف به الزمن لثوان..

لم يصدق أن هذا الصوت الذي يداعب أذنه عبر الهاتف هو صوتها، ولم يستطع منع تلك السعادة التي سيطرت على نبرة صوته، فتحدث

معها بحرارة وعفوية شديدة، أما عنها فقد اعتذرت في بداية الأمر له عن مكالمتها المفاجئة، ولكنها أخبرته أنها في حاجة إليه ولمساعدته، فلم يتردد هو في تقديم تلك المساعدة لها، واتفقا على أن يلتقيا اليوم في تمام العاشرة صباحًا في تلك المصحة النفسية التي يعمل بها، وذلك مثلما طلبت هي.

ها هو الآن قد أنهى طعام إفطاره سريعًا، وأخذ حقيبته ومفتاح سيارته ثم دلف لسيارته وانطلق بها نحو مقر عمله في نشاط وسعادة بالغة، فمنذ أن حادثته ليلة أمس وهو لم يعرف للنوم طريقًا، وكأنه لم يتعلمه من قبل، فلقد كان في انتظار تلك اللحظة منذ سنوات وسنوات، وعندما وصل للمشفى انتهى من اطمئنانه على مرضاه بصورة سريعة، ثم عاد وجلس في مكتبه بانتظار قدومها بفارغ الصبر، وما هي إلا ساعة واحدة حتى وجد إحدى الممرضات التي تعمل بالمصحة تطرق باب غرفته لتخبره بأن هنالك فتاة تنتظر بالخارج، وتريد رؤيته، فأمرها بإدخال الفتاة سريعًا، وما هي إلا ثوان معدودة حتى وجد ندى تقف أمامه داخل مكتبه في ردائها الأسود المتألق الذي أضاف لسحرها رونقًا خاصًّا.

قام من مقعده مصافحًا إياها في لهفة، ثم جلسا سويًّا على تلك الأريكة السوداء التي توجد بإحدى زوايا الغرفة، والمقابلة لشرفتها التي تطل مباشرة على حديقة المشفى، وبينما يحاول أحمد التماسك والتصرف بشكل طبيعي قالت ندى على استحياء وبابتسامة هادئة قاطعة ذلك الصمت بينهما:

- صباح الخير يا أحمد، وآسفة إني هاتعبك، بس أنا في حاجة لمساعدتك بجد.

فرد أحمد سريعًا مقاطعًا إياها:

- تعب إيه بس؟ انت نسيتِ اننا صحاب قبل كل شيء ولا السنين نستك دا؟!

- لا ما نستنيش بس أنا خايفة أكون باشغلك معايا.

فقاطعها أحمد من جديد قائلًا:

- ولا بس ولا حاجة ما تقوليش كدا، أنا تحت أمرك، وأكيد انت عارفة إني مش هاتأخر عليكِ، فاتفضلي قولي إيه اللي ممكن أساعدك فيه.

فقالت ندى بارتياح.

– طبعًا انت عارف إن أنا دلوقتي باشتغل صحفية في جريدة الواقع، ومؤخرًا رئيس التحرير كلفني إني أعمل تقرير بيتكلم عن الأشخاص اللي بيفكروا في الانتحار أو انتحروا بالفعل، وإيه اللي دفعهم لكدا سواء كان من تجارب شخصية مروا بيها وما عرفوش يتجاوزوها والمشاعر السوداوية اللي بتسيطر عليهم سواء كان حزن أو اكتئاب أو غيره، بالإضافة للناس اللي مرت بالمشاعر السوداوية دي ممكن تكون ما انتحرتش بس اتجهت لطريق الانحراف والإدمان، أو حتى للطريق اللي غير من جوهرهم وحولهم لأشخاص صامتة، غامضة، منطوية على نفسها، بمعنى أصح بقوا ناس غير اللي كانوا يتمنوا يكونوا عليها، ولما فكرت أبدأ منين لقيت إن أسلم بداية ليَّ هي إني أدور في مصحة نفسية؛ لأن الناس اللي هنا هي أكتر ناس عانت من اضطرابات نفسية، فيهم اللي اتعافى وفيهم اللي لأ، ولما فكرت مين اللي ممكن يساعدني أدخل مصحة نفسية وأقابل المرضى واتكلم معاهم افتكرت إني لما قابلتك من فترة ساعتها انت اديتني رقم تليفونك وقلت لي إنك بقيت طبيب نفسي، عشان كدا كلمتك وجيت النهار دا على أمل إنك تساعدني.

فقال أحمد بحماس شديد:

- آه طبعًا هاساعدك، بس ممكن أفهم أكتر انت محتاجة إيه بالظبط؟

فقالت:

- هاحتاج أقعد مع حالات من اللي أنا قلت لك عليهم دلوقتي، أسمعهم واسمع حكاياتهم يمكن أقدر أساعدهم وافهم بيفكروا ازاي فنقدر نساعد الناس اللي على طريق إنها تبقى زيهم، أو على الأقل نقدر نفهمهم ونفهم همَّ بيحسوا بإيه، وإيه نظرتهم للحياة ولينا؟!

ثم صمتت ندى لثوان ثم أردفت:

- أنا عارفة إن اللي باطلبه كتير، بس الأمر ضروري ليَّ جدًّا، ومش قدامي غير شهر عشان أخلص التقرير، واهو ضاع منه يومين لحد دلوقت وانا عايزة أنجز وقتي.

فرد أحمد بنبرة يملؤها الإعجاب بما تفعله ندى:

- قلت لك ولا تعب ولا حاجة، أنا زي ما قلت لك أنا مستعد أساعدك، وفعلًا الموضوع مهم ومحتاج حد يتكلم عنه وعن الناس دي ويعبر عن أفكارهم وحزنهم فيديهم دافع إنهم يكملوا حياتهم.

- شكرًا بجد لمساعدتك، ويا ترى ينفع أبدأ من إمتى؟

- لو حابة تبدئي من دلوقتي ما عنديش مانع، لو انت مستعدة.

فقالت بحماس شديد:

- مستعدة... مستعدة جدًّا.

فقال باسمًا وهو يزداد إعجابًا بإصرارها وبحماسها:

- ماشي يا ستي، يلا بينا.

- على فين؟

- هاقعدك مع حالة من أهم الحالات عندي في الفترة الأخيرة.

* * *

أخذ أحمد ندى وصعدا للدور الثالث من المصحة، والذي بنهاية طرقته توجد غرفة مريم التي دخلها أحمد وندى، فألقى الطبيب على مريضته التحية بينما كانت تجلس على مقعدها الخشبي بشرفة المصحة، ناظرة للسماء في صمت وخضوع ملأ ندى بالرهبة، فتقدمت نحوها في حذر بعد أن تركهما أحمد ليتحدثا سويًّا على انفراد، فتقدمت ندى ثم جلست على المقعد المقابل لمقعد مريم، ظللت تتأملها بعض الشيء فلقد

كانت فتاة ذات شعرٍ ذهبيٍّ وكأنه خلق من أشعة الشمس، وعينين زرقاوين تسحران كل من ينظر فيهما، لقد كانت تجلس بتراخ تام ناظرة لذاك الفضاء أمامها بسكون شديد، فحاولت ندى كسر حاجز الصمت بينهما فقالت بابتسامة هادئة:

- صباح الخير يا مريم ها يا ستي إيه أخبارك النهار دا؟

فنظرت إليه مريم نظرة لا مبالية بما تقوله ولم ترد عليها، مما أشعر ندى بالإحراج بعض الشيء، فهي لا تعرف كيف تبدأ معها الحوار وهي بهذا الشكل الذي يرثى له، فقالت من جديد:

- طبعًا دكتور أحمد قبل ما يسيبنا لوحدنا عرفك بيَّ وقال لك إني صحفية وجاية النهار دا عشان أسمعك واسمع حكايتك، عشان أعرف أساعدك، أو على الأقل أعرف أعبر عن تجربتك واللي انتِ بتحسي به.

ولكن محاولة ندى الثانية في خلق حديث مع مريم باءت بالفشل أيضًا، فصمتت كلتاهما لدقائق ليست بالقليلة ثم تنحنحت مريم وهي تنتقل بنظراتها للسماء لتنظر للأرض، وبتراخٍ شديد وبصوت يملؤه الكسر والحزن قالت:

- عارفة أنغام المغنية؟

فردت ندى في سرعة وهي فرحة لأن مريم بدأت في الحديث:

- آه طبعًا ومين فينا ما يعرفهاش.

فأكملت مريم وهي ما زالت على وضعها المتراخي وناظرة للأرض:

- كان ليها أغنية بتعاتب فيها حبيبها على خيانته ليها وبتقول له سكت ليه؟ ما تقول لها فيه بينْنَا إيه، قصة هوانا وحبنا خبيتها ليه؟ عرفها بيَّ، جاوب عليَّ، يا تسيبني اقول القصة ونشهدها هيَّ، ثم صمتت مريم وقد بدأت عيونها تمتلئ بالدموع، فأغمضت عينها وكأنها تخاطب شخصًا آخر لا يراه أحد سواها.

ثم أكملت: انكر وجودي، احلف لها إن الغرام بينْنَا انتهى، اضحك عليها وقول لها إن الي جاي في حياتك لعيونها هي، وعند هذه النقطة لم تستطع مريم الصمود أكثر وانهارت بالبكاء، فقامت ندى من مقعدها لتتجه نحوها رابتة على كتف مريم محاولة تهدأتها ولكن بعد ماذا؟! فلقد استرجعت مريم جميع ذكرياتها الأليمة دفعة واحدة من مجرد مقطع موسيقي صغير، فأمسكت بيد ندى الرابتة على كتفها ثم نظرت في عينها

وبشرود كبير وبالكثير من الدموع بدأت في التحدث وكأن شخصًا آخر غير ندى يمتثل أمامها وبالكثير من الوجع قالت:

- نفس كلام الأغنية دي أنا قُلته ليوسف، قُلته ليه لما خانِّي، أيوة خانِّي مع إنه بينكر دا، بس ما تصدقهوش، هو خانِّي، أنا شُفته، شُفته بعيني، كان عيد جوازنا التاني، نزلت أجيب له هدية، فضلت تلات ساعات بالف في الشارع من المحل دا للمحل دا، عشان ألاقي هدية تليق بحبه وإخلاصه ليَّ، ثم صمتت مريم فجأة وبهستيريا شديدة أكملت: إخلاص، هو يعرف يعني إيه إخلاص أصلًا؟ ولا اقول لك هو فعلًا كان مخلص، حتى لما رجعت البيت اليوم دا لقيته على سريري مع صاحبتي، أيوة على سريري ومع صاحبتي! وانا كنت واقفة، واقفة على باب الأوضة ماسكة هديته في إيدي، مش عارفة أعمل إيه، مش قادرة أصدق اللي أنا شايفاه بعيني، عقلي يقول لي فوقي اللي قدامك دا حقيقة، اللي سلمتِ له قلبك خاين وجرحك في قلبي يصرخ فيه ويقول له لأ أسكت، انت.. انت مش عارف حاجة، هو مستحيل يعمل كدا، مستحيل يجرح حب العمر زي ما هو مسميني! مستحيل ينكر حبنا

وينساه، دا اللي بينْنَا كتير وكل حاجة شاهدة عليه، الذكريات والليالي والشوارع اللي شهدت على مسكته لإيدي وخوفه عليَّ، حتى السرير اللي بيشاركه مع واحدة تانية دلوقتي يا ما شهد على حبنا وحضنه ليَّ كل ما اقوم من النوم مفزوعة، أصله عارف إني دايمًا خايفة.. خايفة من الناس اللي عمرهم ما رحموني وخايفة من إن حبه يطلع كذبة وإن اللي بينْنَا ممكن ينتهي في يوم، انتِ عارفة يا ندى أنا قُلت له.. قُلت له إن أبويا خان أمي قبل كدا، أنا فاكرة اليوم دا كويس وكأنه لسَّا بيحصل قدامي، لأول مرة كان عندي ساعتها ست سنين لما حصل، كنت راجعة أنا وماما من برا البيت فراحت ماما لأوضتها عشان تغير هدومها ففتحت الباب وأول حاجة لقيتها قدامها هو أبويا مع واحدة تانية على سريرها، ساعتها ماما اتصدمت برضه وزعقت وعلت صوتها بس بابا كتم بُقَّها عشان ما حدش من الجيران يسمعهم، بس هي فضلت تزعق وانهارت بكا وزعيق، ساعتها أنا كنت واقفة حاسة إني باتفرج على فيلم، كنت صغيرة ومش مستوعبة إيه اللي بيحصل، ومش فاكرة حاجة بعديها غير إني كبرت، لقيت ماما وبابا لسَّا مع بعض في نفس البيت عايشين حياتهم

عادي، بس أنا ما كنتش عادي؛ كنت كل يوم بعد الموضوع دا أصحى مفزوعة من النوم وباعيط وانا مش عارفة إيه السبب، كانت ماما ساعات تاخدني في حضنها وتهديني، وساعات تانية كتير كنت بافضل أعيط في أوضتي لوحدي بالساعات، بقى جوايا خوف مش عارفة سببه إيه، بقيت فاقدة الثقة في نفسي وفي اللي حواليا، ما كنتش حاسة إني طفلة عادية زي الباقي، كنت حاسة إن كل حاجة مخيفة ومرعبة.

وفي يوم بعد ما بدأت أكبر وافهم اتخانقت مع ماما، وانهرت من البكاء كان عندي ساعتها 15 سنة قعدت أقول لها انتِ ازاي قدرتِ تسامحيه بعد ما خانك؟ إزاي قدرتِ تنامي في حضنه وانتِ واثقة فيه من تاني، ليه ما مشيتيش؟ ليه ما خدتنيش ومشينا يا ماما؟ ليه ما بعدناش عنه، أنا بقيت كل ما اشوفه افتكر اللي عمله فيكِ، ما بقيتش عارفة أبص له أو أحبه، ما بقيتش عارفة أتعامل معاه زي أي أب وبنته عاديين، ماما عيطت من كلامي وخدتني في حضنها وقالت لي كنت هاخدك وهنروح فين يا بنتي؟ أنا أهلي كانوا على قد حالهم وأبوكِ كان هيبهدلنا ومش هيصرف عليكِ، أنا استحملت الذل والإهانة وخيانته ليَّ وربنا

ما يوريكِ حرقة قلب الست لما جوزها يبص لغيرها، كنت باتوجع كل يوم وانا معاه، بس حاولت أسامحه واستحمل عشانك يا حبيبتي، وهنا أنا ما قدرتش أتقبل كلام أمي، وصرخت فيه تاني وبكل حرقة وكسرة فيَّ قُلت لها: ما كنتيش استحملتِ يا ماما ما كنتيش استحملتِ بدل الذل اللي انتِ عايشة فيه دا، انتِ استحملتِ عشان أنا أبقى بخير بس أنا مش بخير يا ماما مش بخير ولا عمري كنت كدا ولا هاكون أنا بقى فيه حاجز بيني وبين أبويا، بقيت باخاف منه ومش هو بس؛ دا هو وكل الرجالة بقيت باشوفهم مقرفين بيخدعونا بحبهم لينا وبعد كدا بيخونونا ويكسرونا بمنتهى الجبروت.

وهنا ماما حضنتني أكتر وقالت لي: لا يا بنتي ربنا هيعوضك وهيخلي نصيبك أحلى من نصيب أمك، ما تيأسيش وفعلًا ربنا عوضني بيوسف بعد كدا عرفنا بعض عن طريق صحاب مشتركة بينْنَا، كنا خارجين كلنا سوا فعرفته، قعد طول الخروجة مركز معايا وما بيكلمش حد غيري، وبعد كدا فضلنا على تواصل مع بعض، اهتم بيَّ جدًّا، عشت معاه لحظات عمري ما عِشتها قبل كدا، بس بسبب عقدتي كنت باهرب

منه، بس هو ما سابنيش وفضل ورايا لحد ما عرف سبب هروبي منه، كنت فاكرة إنه بعد ما هيعرف هيبعد بس اتفاجئت بيه بعد يومين عندي في البيت وبيتقدم لي، كنت طايرة من الفرح ما كنتش مصدقة اللي بيحصل كنت حاسة إني باحلم وخايفة، بس هو طمني قال لي إنه هيكون الطمأنينة لخوفي والسعادة لكل أحزاني، قال لي إنه هيكون الإيد اللي هتفضل ماسكاني وعمرها ما هتفلتني، حبيته ووثقت فيه، بس بصي هو عمل إيه دلوقتي؟ بعد سنتين جواز خانِّي وعلى سريري، ومع مين مع صاحبة عمري.. عمري ما كنت أتخيل إن الضربة هتجيني من أقرب الناس ليَّ يا ندى، ويوم ماشُفته معاها فضلت واقفة قدام الباب مفزوعة ومصدومة، رميت الهدية من إيدي وجريت على الشارع، فضلت أجري زي المجنونة في الشوارع أعيط هنا حبة واصرخ هنا حبة وكل اللي فاكراه بعد كدا إني كنت في القسم بعد ما الشرطة لقيتني في الشارع قاعدة باكلم نفسي زي المجنونة وما باردش عليهم، وهمَّ بيكلموني كنت في حالة ضياع وتشتت رهيبة.. صمتت مريم فجأة لثوان ثم أكملت بضحكة ساخرة ممزوجة بالكثير من الدموع وهي تنظر بعين ندى أكثر وأكثر:

– عارفة إيه اللي حصل؟ بعد كدا كمان يا ندى وكسرني بجد لما كنت قاعدة في القسم كانوا بيدوروا على أي حد يعرفني، وتوصلوا ليوسف واستدعوه عشان هو جوزي وييجي ياخدني، عارفة لما جِه يا ندى عمل إيه؟ وقف قدامي بمنتهى الجبروت وكأنه شخص تاني غير اللي عرفته، شخص قاسي ولا مبالي، وقف قدامي وراح قال للظابط: أيوة يا افندم دي مراتي، وآسفين لو تعبنا حضرتك، بس هي بتعاني من اضطرابات نفسية بقالها فترة، وكل ما اوديها مصحة بيرفضوها بيقولوا لي إن حالتها ميؤوس منها، تقدر تقول حضرتك إنها خلاص اتجننت ومافيش أمل إنها ترجع لعقلها تاني، فلو حضرتك تعرف مصحة نفسية يقدروا يقبلوها هابقى متشكر لحضرتك جدًّا، عارفة يا ندى أنا عملت إيه ساعتها؟ ولا حاجة، فضلت متجمدة مكاني من غير ولا حركة أو كلمة، فضلت أبص له وبس، مصدومة منه ومن اللي بيقوله، كان عندي أمل إن نظراتي ليه تحسسه بالذنب، إنه يقول لي إن اللي بيحصل دا كله مجرد كابوس وهيخلص، وهاقوم مفزوعة وهو هياخدني في حضنه ويطمنِّي

زي ما عودني بس للأسف كان واقف زي الحجر قاسي ما بيحسش، وبمنتهى البرود رماني هنا ومن ساعتها عمره ما جا لي تاني، ولا هو ولا حتى أهلي أو صحابي، ومن ساعتها وانا في الأوضة دي ساكتة وعايشة على المهدئات اللي بيدوها لي، أنا خلاص بقيت شخص فاقد الثقة في الجميع وأولهم نفسي، بقيت شخص مش حاسس غير بالوحدة والغربة والألم اللي بيقتلني بالبطيء وعشان اتخلص من الوجع دا قررت أنتحر، وعملت كدا فعلًا، أول ما جيت هنا، بس همَّ لحقوني على آخر لحظة، ما كانوش فاهمين إن الموت هو الحل مع اللي زيي، ما كانوش حاسين بالوجع اللي بيقتلنا، أو صراع نفسنا اللي بيجلدنا ويجردنا من كل شيء فيبين قد إيه إحنا ضعاف وهشين، ما كانوش فاهمين حاجة ومن ساعتها وانا عايشة اهو زي ما انتِ شايفة وحيدة باعاني من اضطرابات نفسية، حياتي كلها قايمة على المهدئات، مش قادرة أنسى يوسف أو أنسى اللي عمله فيَّ، أنا ما بقيتش عايزة منه حاجة، بس كل اللي عايزة أعرفه، هو ليه عمل كل دا فيَّ؟ ليه ضيعني بالمنظر دا؟ دا أنا قدمت له كل الحب

والإخلاص، ليه قابل كل دا بالخيانة والغدر؟ ليه قسى عليَّ؟ ليه وهو عارف إني طفلة لسَّا بتخاف من الوحدة والضلمة والصوت العالي، ليه عمل كل دا ليه؟

وهنا انهارت مريم بشكل كامل وأصبح جسدها ينتفض وتتحدث بطريقة هستيرية، فحاولت ندى أن تهدئها وأخذتها بين أحضانها كي تهدئ من روعها، ولكنها فشلت في السيطرة عليها وعلى كل تلك الذكريات التي هاجمتها دفعة واحدة، فنادت سريعًا إحدى الممرضات التي أتت وبحوذتها حقنة مهدئة أعطتها لمريم التي غطت في نومٍ عميق فور أخذها للدواء، فظلت ندى واقفة مكانها في ذهول تام مما سمعت، وبينما كانت عيناها ممتلئتين بالدموع الغزيرة، نظرت لمريم وهي نائمة بسريرها بعد أن حملتها إليه بمساعدة الممرضة، وقفت تنظر إليها وتتساءل، فهل حقًّا الواقع بكل تلك الحقارة والبشاعة؟ ما كل ذاك الألم؟ وما كل ذاك التشتت والانهيار؟ فكيف يسهل على الأشخاص إيذاء البعض بتلك الطريقة الوحشية، ثم يمضون في حياتهم وكأن لا شيء قد حدث، وكأنهم لم يقتلوا أرواحًا وراءهم، ولم يخلفوا قلوبًا ممزقة

قد اقتلعوها من جذورها، ثم قاموا بدهسها بكل ما أوتوا من جبروت وقسوة، فكيف استطاعوا أن يخونوا تلك القلوب الهشة التي وثقت بهم، وكيف استطاعوا أن يلطخوا تلك الأرواح النقية دون أن يشعروا بأي ذنب تجاههم، فأين تلك الإنسانية والرحمة، ألم يعلموا عنها شيئًا؟ ألم يتعلموا سوى القسوة والخيانة وإيذاء الآخرين؟ فلماذا هم بكل تلك البشاعة والحقارة حقًّا؟

❋ ❋ ❋

تستيقظ ندى من نومٍ عميق بعد مشقة يوم أمس، وصدمتها من الواقع وما يحتوي عليه من قصص ستجعلك تتألم تارة وستتمنى الموت تارة أخرى عند الاستماع إليها، فلم تتوقع ندى أن تكون البداية بكل تلك القسوة والألم، فهي مثل الطفلة التي بدأت الخروج من عالم الخيال لتواجه واقعًا يمكنه أن يقلب كل موازينك ويحطم كل آمالك ويهدم كل أفكارك، فتصبح شخصًا مشتتًا لا تستطيع التمييز بين الحقيقة والخيال، ستصبح ممزقًا بين نضوج عقلك وطفولة قلبك، سيصبح رأسك ممتلئًا بكل تلك الأصوات التي تظل تتساءل وتتساءل بدون توقف، تلك

الأصوات التي تسلب منَّا السعادة والسلام، ولا تترك لن سوى الألم والمعاناة تستيقظ ندى محاولة لململة أفكارها والثبات وهي تسترجع ما حدث بالأمس وتحاول أن تعطي لنفسها القوة التشجيع لإكمال ما بدأته فهي كانت تعلم من البداية بأن الأمر سيتطلب منها الكثير من المجازفة والكثير والكثير من التفكير والصمود، فقامت من فراشها لتأخذ حمامًا باردًا لعله يساعدها على الاسترخاء واسترجاع بعض قواها التي فقدتها بالأمس، وبينما هي تستحم أضاءت شاشة هاتفها الملقى على تلك المنضدة المجاورة لسريرها معلنة عن وصول إحدى الرسائل الجديدة التي فتحتها ندى وقامت بقراءتها فور خروجها من الحمام لتجد أنها مرسلة من صديقها أحمد والذي بعث لها بإحدى أغنيات ماجدة الرومي المرفقة بعبارة صباح الخير، أتمنى تكوني بخير.. فابتسمت ندى بينما تقوم بالرد عليه برسالة مماثلة تعتذر منه فيها على رحيلها يوم أمس فور خروجها من غرفة مريم دون أن تلقاه، فهي كانت في حالة تشتت مما سمعت، وبأنها لن تأتي اليوم للمصحة، فهي بحاجة للمكوث بالمنزل لترتيب أفكارها وتسجيل ما قصته عليها مريم في تقريرها، وسرعان

ما قام أحمد بالرد عليها، فدخلا في محادثة سريعة لم تستغرق أكثر من عشر دقائق، وانتهت بانتظار أحمد لها يوم غد بالمصحة، لتكمل ما بدأته هي متمنيًا لها التوفيق فيما هو قادم، ثم أغلقت ندى هاتفها تمامًا لتستطيع البدء في كتابة تقريرها، وقد كانت الساعة حينها تشير للرابعة عصرًا، وسرعان ما مر الوقت سريعًا، بينما ندى منهمكة في كتابة قصة مريم وهي تشعر بكل وجع وألم في تلك القصة، حتى إنها بكت عند كتابة بعض أحداثها، لقد ظلت تكتب وتكتب حتى وجدت عقارب تلك الساعة المعلقة على ذاك الجدار أمامها تشير للسابعة مساءً، لم تتوقع أن تستغرق كل ذاك الوقت في تدوين ما حدث، فقامت بإغلاق حاسوبها الذي كانت تكتب عليه، ثم قامت لتتناول بعض الطعام وأعدت فنجانًا من القهوة ثم جلست في شرفتها كالمعتاد، فلعل صوت تلك الرياح يهدئ هذا الصخب الذي يلتهم رأسها، ولعل ذاك الليل يأتي لها بالخير ولو لمرة واحدة، فبالرغم من حبها له ولنسمات هوائه الباردة فلطالما كانت تخشاه وترهب منه؛ لأنه ودائمًا يأتي لها محملًا بالكثير من الذكريات الأليمة ليذكرها بكل تلك الليالي التي شعرت فيها بالخوف والانكسار،

ليذكرها برحيل أبويها وبتلك الوحدة التي أصبحت تلازمها دائمًا، فلطالما كان سكونه يحيي تلك الأصوات التي لا تهدأ أبدًا برأسها، يحيي ذاك الألم الدفين بداخلها، فلطالما كان الليل قادرًا على تجريدنا من كل شيء، ووضعنا في مواجهة أنفسنا التي نظل نهرب منها دائمًا، يضعنا أمامها ليشعرنا بمدى ضعفنا وهشاشتنا، فهو يعرينا ليرينا بأن ذاك الألم ما زال موجودًا، وبأن تلك الشروخ بداخلنا ما زالت تنزف آلامًا وأوجاعًا، وبأن نسمة هواء واحدة منه يمكنها أن توقظ مئات الآلام بداخلنا، وأن مقطعًا موسيقيًّا واحدًا ممزوجًا بهدوء الليل وغموضه يمكنه أن يميتنا في ثوانٍ، فهذا ما يفعله بنا سكون الليل؛ يكسرنا أمام ذواتنا ليجعلنا نمتلئ هزيمة وضعفًا، يجعل جميع أقنعتنا تتساقط ولا يتبقى سوى قناع الخيبة والخذلان، اللذين يقتلانا على مهلٍ وبدماءٍ باردة دون أن يعيروا أي اهتمام لصراخاتنا وآهاتنا، وكالعادة لا تجد ندى مهربًا من ذاتها سوى بخلودها للنوم الذي لعله يشفي جميع تلك الآلام يومًا ما.

* * *

إنها العاشرة صباحًا، يدخل أحمد مكتبه بعد أن تبادل تحية الصباح مع أحد زملائه بالعمل، يدخل مكتبه ليتفاجأ بها تقف في شرفة مكتبه في ردائها أسود اللون وشعرها المنسدل، تقف بهدوءٍ تام ممزوج بالقليل من الغموض مما زادها جاذبية وإثارة، فاقترب منها وهو يلقي تحية الصباح عليها، فاستدارت لتنظر لوجهه وبابتسامة هادئة قالت:

- صباح النور يا دكتور، حضرتك متأخر عن شغلك ساعة بحالها ليه؟

فابتسم وهو يحاول مجاراتها في المزاح فقال:

- آسفين لحضرتك يا افندم على التأخير، ولو تسمحي لي أعوضك بفنجان قهوة يبقى شرف ليَّ.

فقالت وما زالت ابتسامتها هادئة كعادتها:

- تمام موافقة بس يا ريت نأجل الكلام دا لبعد ما اشوف الحالة التانية اللي اتفقنا إنك هتقعدني معاها النهار دا.

فقال مازحًا: يعني خلاص كريم بقى أهم مني.

فضحكت متسائلة: كريم مين؟

- كريم دا الحالة اللي هتقعدي معاها النهار دا يا ستي.

- اممم قُلت لي.. ولو عايز الصراحة فهو أكيد أهم لأن الوقت بيجري وانا محتاجة أخلص تقريري في أقرب وقت.

- يا بختك يا كريم، لقي اللي يهتم بيه وانا لسَّا عامل زي كيس الجوافة.

وهنا لم تستطع ندى كتم صوت ضحكاتها أكثر من ذلك فضحكت حتى احمر وجهها بالكامل ثم قالت:

- طب ما علش يا أستاذ كيس الجوافة، ممكن تقعدني مع الحالة دلوقتي عشان نسعف وقتنا وأوعدك أول ما هاخلص معاه هاهتم بيك.

فضحك أحمد ولأول مرة يشعر أنه يضحك من أعماق قلبه، ثم ذهب بها لحديقة المشفى حيث كان كريم يجلس هناك على أحد المقاعد الخشبية المقابلة لمجموعة من الزهور والأشجار، كان يجلس هادئًا يتأمل في تلك الزهور أمامه، فاقتربت منه ندى بعد أن أرشدها أحمد له، ثم تركها لتأخذ حريتها معه، اقتربت وهي تتأمل ملامحه التي تأسر القلوب، فلقد كان شابًّا في مقتبل العمر، لا يتخطى الثمانية والعشرين عامًا، ذا بشرة

سمراء وعيون بنية اللون، وابتسامة لا تفارق شفتيه، مما بعث بالراحة والطمأنينة في نفس ندى، وأملت أن تكون المحادثة تلك المرة أقل ألمًا، فجلست بجواره وبابتسامتها المعتادة قالت:

- صباح الخير.... طبعا د/ أحمد وضح لك قبل ما اجي مين أنا وجاية أعمل إيه هنا.

فنظر لها كريم وهو ما زال مبتسمًا ثم قال:

- صباح النور يا أستاذة ندى.

فضحكت ندى وقالت:

- يبقى كدا انت عارفني وأتمنى أكون قد ثقتك بجد.. وها حاببنا نبدأ منين؟

- انتِ عايزة تبدئي منين؟

- أي حاجة، مش هتفرق، أنا جاية النهار دا أسمع كل اللي عندك فابدأ باللي يريحك.

- عمر الماضي ولا الذكريات كانت بتريح يا أستاذة، دول بيقتلونا وبس.

لم تتوقع ندى هذا الرد، فكم كانت غبية! فكيف سمحت لابتسامته أن تخدعها؟ كيف لم تعرف أنها مجرد قناع يخبئ وراءه الكثير من الألم والحزن؟! كيف لم تعلم بأن هؤلاء الذين يبتسمون دومًا هم الأكثر معاناة والأشد جرحًا، وكيف لم تعلم بأن هؤلاء الذين يتظاهرون بالثبات والهدوء دائمًا هم الأكثر تشتتًا وانكسارًا، فكم كانت غبية، فهي ما زالت تتعامل مع الواقع بطفولة قلبها الساذجة، فصمتت ندى لشعورها بالإحراج من ذاتها ولم يقطع ذاك الصمت سوى كريم الذي بدأ في الحديث وهو ما زال على وضعه الهادئ متأملًا في الزهور فقال:

- كنت عايش حياتي عادي جدًّا، مجرد شاب عنده عشرين سنة عايش الدنيا بتهور ومش شايل هم حاجة، بادرس في كلية الحقوق، باخلص كليتي وبعد كدا باطلع على شغلي بشركة عمي أخلص اللي ورايا واروح أقضي حبة وقت مع صحابي، وبعد كدا أروح بيتنا، وكل يوم على الحال دا، حياتي كانت روتينية وفوضوية جدًّا، ما كنتش عارف أنا مين أو عايز إيه لحد ما شُفتها في يوم وانا راجع من الجامعة، كانت في غاية الجمال، وكأنها ملاك نازل من السما، وكنت أول مرة أشوفها في

منطقتنا، جذبتني وملتني فضول ناحيتها، فقعدت أسأل عليها يمكن أي حد يعرف مين دي، لحد ما لقيت واحد صحبي في يوم وانا باسأل عليها بيقول لي إن اسمها أمنية، وإنها ساكنة جديدة عندنا في المنطقة، وبالصدفة طلعت ساكنة في البيت اللي قدامي على طول، ما عرفتش أبطل تفكير فيها من ساعة ما شُفتها، حاجة غريبة شدتني ليها وبقيت عايز أكلمها بأي شكل، بس كان دايمًا فيه خوف جوايا بيمنعني كنت كل ما اشوفها ماشية في الشارع كنت باحس إن قلبي هيتخلع من مكانه وفضلت معجب بيها من بعيد لبعيد ولا عارف أقرب منها وأقول لها، ولا عارف أبطل تفكير فيها، وفضلت في الحال دا لشهور لحد ما في يوم كنت راكب الأتوبيس مروح بيتنا، لقيتها قاعدة في الكرسي اللي قدامي، ما كنتش مصدق نفسي، وغصب عني كنت بابص لها، مش عارف أشيل عيني من عليها، كنت زي الطفل التايه اللي لقي مامته أخيرًا، كنت بابص لها بلهفة وهي كمان كانت بتبص لي، وفضلنا نبص لبعض من غير ما نقول ولا كلمة لحد ما نزلنا محطة بيتنا وهنا خفت تفتكرني ماشي وراها فتخاف مني، فقررت إني أقف مكاني حبة لحد ما هي تمشي، وبعد

كدا أروح أنا، وفعلًا عملت كدا لحد ما وصلت عند كوبري، الكوبري دا كنا بنعديه عشان نوصل للمنطقة اللي ساكنين فيها، فلقيتها واقفة عنده ولسَّا ما عدتش منه؛ لأنه كان ضلمة وكان الوقت متأخر، فكانت خايفة تعدي لحد ما شافتني جاي، فطلبت مني إنها تعدي معايا بحكم إننا ساكنين في نفس الشارع، فوافقت طبعًا وانا كنت طاير من الفرحة وكنت بابطَّأ خطوتي عشان الطريق ما يخلصش بسرعة، فضلنا ماشين سوى واتكلمنا كتير جدًّا في كل حاجة، عرفت منها إنها بتدرس معايا في نفس الجامعة، بس في كلية آداب، وإنها أصلها من بني سويف، بس نقلوا القاهرة عشان تكون قريبة من جامعتها، الكلام خدنا ونسينا نفسنا، بقينا عاملين نتكلم في كل حاجة وأي حاجة، كنت حاسس إني اتولدت من جديد، أول مرة أحس بالشعور دا جوايا، شعور بيدفعني إني اتغير للأحسن وإني سعيد ومستعد أعمل أي حاجة عشان تبقى معايا، بس للأسف وزي أي شيء مش بيدوم الطريق خلص ووصلنا شارعنا، كنت خايف ما اشوفهاش تاني، فطلبت رقم تليفونها عشان نبقى على تواصل، بس هي رفضت وطلعت بيتها وانا كمان طلعت بيتي

بس ما كنتش كريم اللي أعرفه؛ كنت شخص تاني، مبسوط بجد وحاسس إن أخيرًا إن فيه حد يستحق إني أكمل حياتي عشانه، بس كنت زعلان لأن مافيش طريقة أتواصل معاها من خلالها، فضلت كام يوم باحاول أوصل ليها بس مش عارف، كنت هاتجنن مش عارف أشوفها أو أكلمها، لحد ما في يوم وأنا بادور على الفيسبوك لقيت الأكونت بتاعها، كنت هاطير من الفرح، ما فكرتش ثانية ورُحت بعتت لها رسالة، بس هي خيبت آمالي وما ردتش عليَّ بس أنا ما يأستش، فضلت أبعت لها في رسايل يوم ورا يوم، وهي تشوفها وما تردش لحد ما في يوم خلاص قررت إني ابعت لها رسالة أقول لها فيها كل اللي حاسه ناحيتها، وبعد كدا مش هابعت لها تاني وهانهي كل حاجة بس القدر المرة دي كان ليه حكمة تانية، شافت رسالتي وردت عليَّ، وطلعنا احنا الاتنين حاسين بنفس الشيء، كنت أسعد شخص في الكون فضلنا نتكلم لساعات وأسابيع وبقينا سوا بقالنا شهور، بقينا عارفين عن بعض كل حاجة، كنا حاسين إننا أخيرًا كل واحد فينا لقي الحاجة اللي يكمل عشانها، وكنا كل ما نيجي نتفق عشان نتقابل تحصل ظروف تبوظ الدنيا وما نعرفش

نتقابل، لحد ما في يوم اتقابلنا فعلًا، كان يوم عمري ما هانساه أبدًا، كان اليوم اللي حسيت فيه إني باحبها بجد، بس للأسف ما كنتش اعرف إن نفس اليوم دا هيكون هو النهاية بينْنَا، في اليوم دا دخلنا سينما شُفنا فيلم سوا وقعدنا نتكلم ونتمشى كتير، ما كنتش عايز اليوم يخلص، وبعد ما رُحنا لقيتها سايبالي رسالة بتقول لي فيها قد إيه هي كانت مبسوطة وحاسة بالأمان، وهي معايا ما كنتش مصدق نفسي، كنت حاسس إني عايش في حلم، بس للأسف وزي كل الأحلام اللي ما بتبقاش للنهاية ولازم نصحى منها، نزلت اليوم دا أصلي الفجر عشان اشكر ربنا على نعمة وجودها، وعلي كل الحاجات الحلوة اللي بيعملها عشاني، كنت مبسوط إني بدأت اتغير بجد لشخص عنده مسؤولية وبيخطط لمستقبله، رُحت نمت وتاني يوم باكلمها لقيتها بتقول لي إننا مش هينفع نكمل سوا، كنت فاكرها بتهزر بس هي كانت بتتكلم جد، قالت لي إن عمها عرف بعلاقتنا وممكن يعمل لها مشاكل، طمنتها وقُلت لها إني باحبها بجد وعندي استعداد إني أتقدم لها من بكرة، بس هي رفضت وقعدت تقول لي أسباب مش مقنعة وما سابتش ليَّ أي فرصة للاختيار، نهت كل

حاجة بينْنَا بمنتهى السهولة وكأن مافيش حاجة حصلت، سابتني مشتت مش لاقي إجابة لكل الأسئلة اللي في دماغي، سابتني في عز حبي واحتياجي ليها، سابتني بعد ما خلتني حاسس إني ملكت الدنيا وما فيها، جات هي وخدت كل حاجة في لحظة كنت هاتجنن مش فاهم حاجة، وخلاص كل حاجة اتقطعت بينْنَا، فبدأت أتحول لشخص تاني، ما بقيتش أنا، بقيت شخص أسوأ، بدأت أدخن، وفي مدة قصيرة بقيت مدمن تدخين وحاجة جابت حاجة، بقيت باشرب كل أنواع المخدرات اللي ممكن تتخيليها، كنت عايز اهرب من كل حاجة، من نفسي ومشاعري ومن تفكيري فيها، بقيت باعامل أهلي وصحابي بأسلوب حاد، بقيت قاسي جامد، لا مبالي لأي شيء، الكل بعيد عني بالتدريج، وفجأة لقيت نفسي لوحدي، ولا أهل يسندوني ولا صحاب يفهموني ولا حتى بقيت لاقي نفسي، بقيت باكرهني كل ما بابص على نفسي في المراية، كل حاجة فيَّ بقت ضايعة وفوضوية، بقيت الشخص اللي كنت باحارب طول عمري عشان ما ابقاهوش، بقيت شخص بيعاني من اضطرابات نفسية في المجتمع بقوا بيقولوا عليَّ مجنون، ما حدش فاهمني

أو حاسس بيَّ، الكل خايف يقرب لأذيهم، الكل كان فاكرني بأفور وإني راجل ما ينفعش أحزن وأبين ضعفي ما حدش كان فاهم إننا كرجالة في الأول والآخر بشر بنحس وبنتألم، ويمكن أكتر من الستات كمان، الستات حزنها ممكن ينتهي بعد ما تتكلم مع صاحبتها أو تعيط شوية، إنما إحنا كرجالة الحزن بيعيش جوانا لسنين وسنين من غير ما حد يحس بينا، احنا ولأننا خايفين من نظرة المجتمع لينا بنبقى مجبورين إننا نداري حزننا وانكسارنا فبيطلع بعد كدا على صورة قسوة ولا مبالاة على ناس ما لهاش ذنب، بنبقى فاقدين الثقة في كل اللي حوالينا، ما بنعرفش نحب تاني، أو بمعنى أصح لما بييجي لنا الحب اللي بجد بعد كدا ما بنبقاش عارفين نصدقه، بنبقى خايفين ندخل في نفس الدوامة من تاني فبنهرب منه ومن نفسنا، بس ما حدش هيفهم، ما حدش هيفهم إننا سواء كنا رجالة أو ستات ففي الأول والآخر إحنا بشر، بنحس بنفس المشاعر وبنفس الوجع والألم، بنفس الكسرة والانهيار، بس عشان إحنا رجالة يبقى مش من حقنا إننا نبين ضعفنا وانكسارنا، فبنتحول تدريجيًّا لأشخاص قاسية غير مبالية، أشخاص ما بتبقاش على حد، بنحس

بالوحدة والانكسار بجد، وفيه ناس ممكن يوصل معاها الأمر لحد الغموض من كتر الألم اللي جواها غصبًا عننا بنبقى مؤذيين للي حوالينا، بنرفض كل حاجة ليها علاقة بالإحساس حتى ولو كانت صادقة، وما بنسمعش غير صوت عقلنا حتى ولو كان غلط، هو دا اللي بيعمله خذلان الحب في الرجالة يا أستاذة ندى، بنتحول لوحوش واحنا جوانا لسَّا طفل بيعيط من الوجع، وطبعًا بعد ما بقيت وحش من ضمن الوحوش ما بقاش حد قادر يستحملني، بقيت لوحدي، فقررت آجي هنا يمكن اعرف أتخلص من اضطراباتي النفسية عشان ما بقاش مجنون زي ما المجتمع ما بيسمينا، بس للأسف وجودي هنا ما غيرش من حاجة؛ بل بالعكس، بقى الألم بيزيد جوايا كل يوم عن الأول، ما بقاش فاضل ليَّ غير الذكريات اللي بتقتلني كل يوم من غير أي رحمة، وبأبسط المعاني، أنا ما بقيتش أنا ودا اللي خذلان الحب ممكن يعمله في راجل يا أستاذة..

أنهى كريم حديثه وهو ما زال هادئًا، ولكن نظرته كانت مختلفة تمامًا، فلقد كانت عيناه ممتلئتين بنظرة الانكسار والخذلان، لقد كان الألم تلك

المرة يتراقص من بين ملامحه، لقد كان منكسرًا بشموخ، ومنهزمًا بكبرياء، لقد كان مثلًا يحتذى به في الكفاح والثبات، ولم تعلم ماذا تقول له ندى فاكتفت بتوديعه بابتسامة هادئة، وأعين تملؤها الدموع وبقلبٍ تهشم مع كل حرف من أحرف قصته فيا لها من حياة قاسية حقًّا، تجبرنا على العيش بصورة أشخاص لم نتمنَّ يومًا أن نكون عليها، تجبرنا على تحمل المعاناة وكبت الألم والعيش بقلوبٍ محطمة وعقولٍ مشتتة، فهي تجبرنا على العيش كجثث ميتة لا روح فيها ولا حياة....

* * *

يجلس أحمد على مقعدٍ مواجها لندى في أحد الكافيهات المطلة على نهر النيل، يجلس ينظر لها ويتأملها بينما هي تنظر للمياه أمامها في شرودٍ تام وصمتٍ لم تتخلَّ عنه منذ خروجهما من المصحة، حتى وصلا إلى هنا، فهي على ذلك الحال منذ تحدثها مع كريم منذ ساعتين، فهي شاردة وعيناها ممتلئتان بالدموع التي يرفض كبرياؤها أن يحررها، ولقد بدأ القلق يتمكن من أحمد فانحنى للأمام قليلًا ليستند بذراعيه على تلك المنضدة أمامه، ثم قال بهدوء: ندى.

ولكنها لم تجِب مما زاد من قلقه، فأعاد نداءه لها بينما يربت على يدها تلك المرة فاستطاعت لمساته أن تنتشلها من ذلك الضياع المسيطر عليها، فنظرت له ثم قالت وهي تسحب يدها من يده سريعًا: آسفة، سرحت شوية بس، فيه حاجة؟

فرد أحمد سريعًا محاولًا التقليل من توترها: لا أبدًا مافيش، أنا بس قلقت عليكِ من ساعة ما سِبتِ كريم وجينا هنا وانتِ على الحال دا ساكتة وسرحانة، انتِ بخير؟

- أنا بخير يا أحمد، ما تقلقش.

- ما اقلقش ازاي بس؟ لأ انتِ مش بخير، عينك بتقول لي إنك تايهة، فيه إيه؟

فقالت ندى وهي تنظر للأرض وبدموع لم تستطع السيطرة عليها تلك المرة: عندك حق، أنا فعلًا تايهة، أنا مش فاهمة حاجة، ومش فاهمة إيه اللي بيحصل دا، ولا حتى بقيت عارفة أنا مين.

- طب ممكن تهدي واحكي لي بالراحة انتِ حاسة بإيه؟ أنا سامعك وما تخافيش أنا جنبك.

فنظرت له ندى وهي تقول بتردد: حاسة بحاجات كتير جوايا ومش عارفة أحدد هي إيه، حاسة إني مش عارفاني، أنا طول عمري كنت بنت عادية وأقل من العادية، ما افتكرتش إني عملت حاجة في حياتي تستحق التقدير، حياتي كانت عادية ومملة بجد، قضيت سنيني كلها بين الدراسة وأهلي وصحابي، كنت عايشة الحياة كدا من غير هدف، ولا حتى حاولت في يوم إني أعرف يا ترى الناس اللي في حياتي بخير بجد زي ما بيقولوا ولا لأ، كل حاجة في حياتي حصلت بسرعة وانا كنت عايشاها كدا وخلاص، ما حاولتش أفهم نفسي أو أفهم أنا مين وإيه اللي عايزاه، كنت سايباها تيجي زي ما تيجي، لحد ما بابا وماما ماتوا فجأة، ساعتها مش فاكرة حاجة غير إني حسيت إن العالم ضلم مرة واحدة، كل حاجة بقت سودا، بقيت وحيدة بعيد عن أهلي وصحابي، وبقيت عايشة لوحدي، كنت باحس بحاجة جوايا بتقتلني، كان فيه حاجة جوايا بتنزف وأنا ما حاولتش أعرف هي إيه، ما حاولتش أفهم مشاعري أو أحددها، كنت باهرب من كل شيء لحد ما أستاذ حسن صاحب الجريدة اللي باشتغل فيها دلوقتي، ويعتبر صاحب عمر بابا، وهو اللي مربيني

جا لي ونزلني أشتغل معاه، وطبعًا دا بعد محاولات كتيرة منه جدًّا كان عايز يخرجني من اللي أنا فيه كان عايز يرجعني ندى العفوية واللي مش شايلة هم حاجة، وفعلًا نزلت الشغل معاه، بس ما عرفتش أرجع ندى تاني، كنت كل يوم باموت لأني مش عارفة ألاقي طريق أرجع منه لنفسي، كنت وحيدة وما حدش كان فاهم معنى إنك تكون إنسان تايه من نفسك ومش لاقيها، بس كنت باشغل نفسي في الشغل على أمل إني أتخلص من كل الحزن والوحدة اللي ملياني، بس كل دا ما كانش ليه نتيجة، كنت أول ما اخلص الشغل واروح البيت كل حاجة جوايا كانت بتصحى تاني وأقوى من الأول، فكنت باقعد أيام من غير أكل ما باعملش حاجة غير إني باعيط في أوضتي، كنت تعبانة بجد ومش عارفة إيه علاجي، ووسط كل دا راح أستاذ حسن خلاني أتولى عمل التقرير دا، انت فاهم هو عمل إيه؟ هو خلى شخص زيي تايه وحزين يبحث على ناس زيه وأسوأ منه، ناس تاهت من نفسها واتشتت واتجرحت ومليانة بالحزن، خلاني أبحث عنهم واسمعهم وما كانش فاهم إنه كدا بيخليني أواجه نفسي اللي عمالة أهرب منها، كنت مع كل

حكاية باسمعها كنت باسمع صوت حاجة جوايا بتتكسر وبتنهار، كنت وانا باسمعهم باتخيل نفسي واقفة قدامي بتبص لي وبتقول لي أيوة انتِ كدا زيهم، أيوة انتِ اللي فيكِ دا اسمه حزن واكتئاب ووحدة زيهم، واجهي نفسك بضعفك وواجهيني يمكن تقدري تلاقي علاج ليكِ أو حل، بس أنا كنت بارفض اسمعها واقول لها لأ أنا كويسة، لأ أنا مش زيهم وأتاريني أسوأ منهم بس أنا ما كنتش فاهماني ومش فاهمة مشاعري، أصعب حاجة في الدنيا إنك تواجه نفسك وتبدأ تفهم مشاعرك وحزنك وإيه اللي مريت بيه، وفرحك أو أذاك، أصعب حاجة إنك تعترف بضعفك وحزنك وبكل الوجع اللي جواك طلع طريق الوصول للذات ومعرفتها مش سهل زي ما كنت فاكرة دا طلع طويل وطويل جدًّا ومليان بالصعاب والمجازفات كمان.. بس عارف يا احمد مع كل التشتت والحزن اللي ماليني وإني ما بقيتش عارفة نفسي أو عارفة إيه اللي بيحصل بس كان فيه حاجة واحدة هي الثابتة والوحيدة اللي كنت عارفاها كويس وعمري ما تُهت عنها وهي السنين اللي قضيتها معاك وانا صغيرة كانت الحاجة الوحيدة الصادقة واللي فاهماها في

حياتي، انت ليه سِبتني وليه بعدت عني؟ انت الحقيقة اللي كنت عمالة أدور عليها السنين دي كلها، ومش عارفة أوصل لها، ليه يا أحمد ما حاولتش توصل لي وتدور عليَّ تاني، ليه سِبتني في كل دا لوحدي؟ أنا كنت محتاجاك.. كنت محتاجاك بجد، أنا كنت ضايعة وما كانش حد غيرك هيفهمني، بس أنا ما لقيتكش ي أحمد، ما لقيتكش.

وعند هذه النقطة لم تستطع ندى تمالك نفسها أكثر من ذلك فانهارت دموعها ولم تستطع إيقافها، لقد بكت بحرقة وكأنها لم تبكِ منذ سنوات/ وكان أحمد يجلس أمامها في ذهول تام، فكيف لتلك الفتاة العفوية التي كان يعرفها أن يستولي عليها الظلام بذلك الشكل، لقد كان مذهولًا بينما هناك شيء ما بداخله يريد الصراخ، ويريد أن يخبرها بأنه لم يتركها أبدًا وأن بعده لم يكن بيده، فلقد ظل طوال سنوات الغربة يتذكرها ويحن لها، فلم تستطع فتاة أن تسرق قلبه غيرها، كان يريد أن يخبرها بأنه قد عاد للوطن من أجل أن يبحث عنها، فهو قد تألم من ذاك البعد مثلها وأكثر، فهو كان يريد أن يأخذها بين أحضانه ويخبرها بأنه يحبها بل ويعشقها أيضًا، منذ تلك اللحظة التي رآها تجلس في فناء المدرسة وتنظر للسماء في

هدوءٍ تام، ولكن شيئًا ما قد منعه عن قول ذلك، ولا يعلم لمَ ولكنه اكتفى بأن يربت على يدها من جديد، ولكن تلك المرة لم تسحب ندى يدها ولم تمانع ذلك، وبينما هو ينظر إليها بأعين يملؤها الدمع قال:

- أنا عارف إني مفروض كنت أبقى جنبك في كل دا، بس صدقيني بعدنا ما كانش بإيدي، أنا سفرت غصب عني مع أهلي، وربنا وحده اللي يعلم إني عمري ما نسيتك، وبكرة ييجي اليوم اللي تتأكدي فيه من دا، ووعد مني إني مش هاسيبك تاني أبدًا، أنا هنا وهافضل على طول هنا عشانك، وصدقيني عمري ما هاتخلى عنك مهما يحصل، واللي انتِ فيه دا مجرد بحث عن ذاتك وانا عارف إن الأمر صعب، بس صدقيني هتلاقيها، أنا لسَّا شايف فيكِ ندى بتاعة زمان بحماسها وقوتها، انتِ ما خسرتيش نفسك ولا حاجة؛ انتِ بس تُهتِ عنها، وانا هاساعدك إنك تلاقيها تاني، وانا واثق إنها فترة وهتعدي وإنك هتتعلمي منها وهتبقي أقوى، وواثق إنك هتعملي تقرير عظيم زيك، أنا واثق فيكِ وعمري ما هابطل أثق فيكِ زي ما عمري ما هابطل إني أبقى جنبك أو أفتكرك دايمًا.

نظرت له ندى بينما تجفف دموعها ولا تعلم ماذا تقول له، ثم كسرت ذاك الصمت الذي ساد بينهما لأكثر من عشر دقائق وأخبرته بأنها تريد الرحيل، فعرض عليها أنا يقوم بإيصالها للمنزل فوافقت بعد إصرار منه وبعد أقل من ساعة واحدة كان يقف بسيارته أمام منزلها، فنزلت منها دون أن تقول له أي شيء، ولقد اكتفى هو كذلك بمشاهدتها تصعد لشقتها في هدوء تام، وفور دخولها للشقة قامت بتبديل ملابسها وحاولت الاسترخاء على سريرها بعد ذلك اليوم الشاق، ولكنه سرعان ما بعث لها برسالة على هاتفها لكي يطمئن عليها، ولكنها لم تقم بالرد عليه، ففور رؤيتها لرسالته قامت بإغلاق هاتفها تمامًا وظلت تبكي كثيرًا بدون توقف وهي لا تشعر سوى بالتشتت ولا تعلم ماذا يحدث وما تلك المشاعر المتناقضة التي بداخلها، ظلت تبكي حتى غطت في نومٍ عميق، لا تريد الاستيقاظ بعده من جديد.

❋ ❋ ❋

تجلس ندى بشرفة غرفتها ترتشف فنجانًا من القهوة بينما تشير عقارب الساعة للتاسعة صباحًا، تجلس ناظرة للسماء في صمتٍ تام كعادتها تحاول أن تستمع بهدوء تلك العاصفة التي هبت بداخلها منذ ذاك اليوم الشاق الذي كانت تجلس فيه مع أحمد في ذلك الكافيه، فهي لم تعتقد يومًا بأنها ستظهر ذاك الحزن والتشتت الذي ظلت تخبئه بداخلها لسنوات وسنوات أمام أحد، ولكنها فعلت ولا تندم على ذلك؛ بل تشعر وكأنها وأخيرًا قد وجدت ذاك الرفيق الذي يشاركها وحدتها ويقاسمها أحزانها، لقد كانت تشتاق إليه حقًّا، ولقد أصبح هناك شيء ما بداخلها لا يريد الابتعاد عنه من جديد مهما كلف الأمر، ولكنها

تخشى أن يمل يومًا من أحزانها فيبتعد عنها، فهناك صراع بداخلها لا تقدر على إيقافه ولا تقدر كذلك على تجاهله، فهي لا تعرف ماذا تفعل ولا تعلم أين أصبحت الآن، ولكنها قد قررت أن تترك كل شيء يحدث كما هو مقدر له أن يحدث، ولعل الأمور تلك المرة تنتشلها من تلك الفوضى التي تملؤها، لذلك قامت من مكانها لتبحث عن هاتفها الذي أغلقته منذ ثلاثة أيام حتى الآن، فوجدته ملقًى هناك بجوار حاسوبها، فالتقطته سريعًا وقامت بفتحه لتجد الكثير من الرسائل المبعوثة منه إليها، والكثير من محاولات الاتصال التي لم تقم بالرد عليها، وبدون تفكير قامت بالاتصال به، فلقد اشتاقت لصوته، ولقد اختفت فجأة دون أن تخبره، وهو ليس له ذنب في كل ذلك التشتت والصراع اللذين يملآنها، فرد عليها قائلًا بلهفة: ندى أنت بخير؟! انت فين بقالك تلات أيام مش بتيجي ومش عارف أوصل لك، حاولت أتصل بيكِ كتير بس تليفونك كان مقفول، وكنت هاموت من خوفي عليكِ.

فقالت بابتسامة هادئة: أنا بخير، بخير ما تقلقش، أنا بس حسيت إني تعبانة شوية وكنت محتاجة وقت عشان أفهم فيه إيه وإيه اللي بيحصل

بس مش أكتر، بس أنا أحسن دلوقتي صدقني وآسفة إني اختفيت كدا مرة واحدة، وحقيقي شكرًا على اهتمامك دا، أنا ما كنتش فاكرة إن فيه حد هيهتم لأمري كدا في يوم.

- شكرًا إيه بس؟ مافيش بينْنَا كدا، دا واجبي تجاهك وانتِ تستحقي دا وأكتر يا ندى.

فصمت الاثنان قليلا حتى قاطع أحمد ذاك الصمت قائلًا: طب إيه مش هتيجي النهار دا؟

- لا بافكر ما اجيش.. إيه رأيك تعزمني على العشا النهار دا؟

فرد أحمد وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة: عشا مرة واحدة! دا انتِ داخلة على طمع بقى.

فردت ندى بابتسامة يملؤها القليل من اللؤم: خلاص لو مش عايز مافيش مشكلة.

- انتِ بتحرجيني يعني؟ طب تمام أنا اتحرجت فعلًا وهاكون تحت بيتك الساعة تمانية إن شاء الله.

- تمام هاستناك.

أنهت ندى اتصالها به بتلك الكلمات ثم قامت وهي تكاد تطير من فرط السعادة، ووقفت أمام خزانة ملابسها وأخذت تبحث بين ثيابها هنا وهناك ولا تعلم ماذا ترتدي، فهي ولأول مرة بذلك القدر من السعادة والتوتر في آن واحد، ولكنها أخيرًا قد استقرت على رأي ثم شرعت في تجهيز نفسها وهي تبتسم ابتسامات بلهاء من وقتٍ لآخر بينما ترتدي ثيابها، وما هي إلا بضع ساعات حتى وجدته يقف تحت منزلها في الوقت المتفق عليه تمامًا، فنزلت له لتجده يقف ينتظرها أمام سيارته، وما لبث أن نظر إليها ليجدها تقف أمامه مرتدية فستانًا أزرق اللون، يكشف عن كتفيها المزينتين بخصلات شعرها السوداء، وحذاء ذا كعبٍ أسود اللون مما جعلها تبدو وكأنها واحدة من هؤلاء الأميرات والنجمات السينمائية، فأخذ ينظر إليها في إعجابٍ لم يستطع إخفاءه مما زاد من توترها وجعلها تخجل بعض الشيء، فتمالكت نفسها حتى وصلت له ووقفت أمامه مباشرة لتجده يقول لها بحنان: هو أنا هاتعشى مع نجمة من السما ولا إيه؟

فاحمرت وجنتاها ثم قالت باسمة: لا هتتعشي مع ندى، فاكرها؟

- فاكرها بس! دا أنا عمري ما نسيتها لحظة، وممكن لو سمحت ما تلبسيش أسود تاني، انتِ ما يليقش بيكِ الحزن أبدًا، انتِ وردة لازم تبقى مفتحة دايمًا.

- طب هتفضل تتغزل فيَّ كدا كتير؟ أنا جعانة.

- يعني أنا باحاول أبقى رومانسي وانتِ تقولي لي جعانة!! طب اركبي يا اختي العربية اركبي، أنا عارف إني جبته لنفسي.

فضحك كلاهما ثم صعدا في السيارة التي انطلق بها أحمد سريعًا حتى وصل لأحد المطاعم المطلة على النيل ليتناولا طعام العشاء، وأخذا يتحدثان كثيرًا بدون توقف، يتحدثان عن طفولتهما وتلك الأيام التي قضياها بعيدًا عن بعضهما البعض، يتحدثان عن تلك اللحظات التي شعرا فيها بالحزن والضعف، وتلك اللحظات السعيدة التي مرَّا بها، يتحدثان عن المزيكا والفن وكل شيء، لقد تحدثا وكأنهما يفعلان ذلك للمرة الأولى، لقد كانت ليلة جميلة بحق، لقد ضحكا من قلبيهما وكأنهما يولدان من جديد، فأخيرًا قد شعرا بتلك الطمأنينة التي ظلا يبحثان عنها كثيرًا ولكن وللأسف قد انتهت الليلة سريعًا مثلما تنتهي كل الليالي

السعيدة، لقد انتهت ولكن كان هناك شيء ما بداخل كل منهما يبدأ ويولد شيئًا لا يستطيعان إنكاره، وكذلك لا يستطيعان الاعتراف به، لقد انتهت الليلة بإيصال أحمد لندى حتى منزلها وعندما كانت على وشك النزول من السيارة قام بإيقافها قائلًا: أنا اتبسطت النهار دا بجد، وأتمنى إني أشوفك بكرة في المصحة، فيه حالات كتير لسَّا مستنياكِ تسمعيها.

فردت ندى وقد تمكن منها الخجل: وأنا كمان اتبسطت جدًّا، بجد شكرًا على اليوم دا، وشكرًا على اهتمامك، وفعلًا أنا الوقت خلاص بينفذ مني، فاحتمال أقيم عندكم في المصحة الفترة اللي جاية عشان ألحق أخلص التقرير.

فضحك قائلًا: يا ست تنورينا، على راسنا والله.

فضحك كلاهما ثم نزلت ندى من سيارته وصعدت لشقتها وهي تكاد تطير من فرط السعادة، إنها تشعر وكأنها امرأة جديدة، امرأة لم تكن تعلم أنها بداخلها ولم تتعرف عليها يومًا امرأة أكثر مرحًا وشجاعة وإقبالًا على الحياة، فهذا ما يفعله الحب بنا، فهو يتغلغل لأعماقنا ثم وبطريقة غريبة يزيل كل تلك الآلام والأوجاع من قلوبنا، فهو يضيء

أرواحنا ويملؤها بالشغف مجددًا، فهو ينقذنا من كل تلك الوحوش التي تلتهمنا، ومن كل ذاك الظلام الذي يشوهنا، إنه الحب يا سادة، ذاك السحر الغريب الذي يضيئنا ويجعلنا نلمس السماء بعدما كنا مجرد جثث هامدة تحتضنها الأرض بظلامها، إنه لشعور رائع ينقذنا من الجميع ومن أنفسنا ثم يضعنا على الطريق الصحيح بسهولة تامة، وكأننا لم نته يومًا أو لم نضِع، فلقد كانت ليلة حافلة تغير من بعدها كل شيء.

استيقظت ندى في صباح اليوم التالي ثم ذهبت للمصحة وهي أكثر إشراقًا واستعدادًا للمواجهة والمساعدة، لقد ذهبت لتجد أحمد في انتظارها بمكتبه وقد أحضر طعام الإفطار الذي انتهيا من تناوله سريعًا، ثم شرع أحمد في اصطحابها لتقابل هؤلاء الأشخاص الذين يقوم بمتابعة حالتهم النفسية، ولقد استمر الوضع هكذا لأكثر من عشرة أيام، كانت ندى فيهم تستيقظ صباحًا لتذهب للمصحة وتتناول طعام الإفطار مع أحمد ثم تبدأ في التجول بالمصحة لتستمع لجميع من بها، ثم ينتهي اليوم سريعًا بإيصال أحمد لها حتى منزلها، لقد كانوا عشرة أيام حافلة بالكثير من الأحداث التي أثرت في ندى، وجعلتها أكثر نضجًا وخبرة، فهنا قد

استمعت لفتاة ظلت تعشق شخصًا لسبع سنوات متتاليات، ثم تفاجأت به يعلن خطبته من فتاة أخرى غيرها، تاركًا إياها ممزقة ومشردة، وهناك قد استمعت لشاب في أوائل العشرينيات قد توفي والده فجأة تاركًا إياه لهؤلاء البشر الذين لطالما كانوا ينعتونه بالفاشل، ولم يعطِه أحد فرصة ليثبت ذاته، حتى والده الذي توفي وعائلته، لقد كان الجميع يسحقونه بالكلمات السامة ولا يتركون له حق التعبير عن نفسه أو أفكاره، لقد التهموا روحه وقتلوا أحلامه حتى أصيب باكتئاب حاد، وانتهى به المطاف هنا في هذه المصحة اللعينة، ولم ينته الأمر عند ذاك الحد فقط؛ فقد استمعت ندى لفتاة أخرى هناك قد جاءت إلى هنا هربًا من زوج والدتها الذي لم يكن يتوقف عن التحرش بها ليلًا ونهارًا، وكذلك زوجة أبيها التي كانت تعاملها مثل الخادمة، بينما كان والداها لا يعريان أي اهتمام لكل ذاك العذاب الذي تعيش فيه بسببهما.

وكذلك فتاة أخرى هناك كانت صامتة تمامًا ولم تتحدث سوى بصعوبة بالغة، تلك الفتاة المسلمة التي جاءت إلى هنا بعد أن اكتشفت أن حب حياتها كان شابًّا ملحدًا، وكان يخبئ عنها الأمر حتى لا تتركه،

فدخلت في صراعٍ بين الدين والمجتمع اللذين يرفضان ذاك النوع من العلاقات، وبين قلبها الممتلئ بالكثير من الحب تجاهه، لقد دخلت في صراع مزقها وأحرقها ولم يترك لها فرصة النجاة فانتهى بها المطاف هنا أيضًا بعد أن تركت ذاك الشاب وزهدت الحياة والجميع وغيرها وغيرها من الشابات والشبان التي أصبحت المصحة تمتلئ بهم، منهم من يتعافى من الإدمان، ومنهم من يتعافى من الاكتئاب، وآخرين يتعافون من أمراضٍ وخوفٍ سببه لهم المجتمع والحياة، فلقد كان القدر قاسيًا عليهم ولم يرحمهم أبدًا، لقد استمعت ندى للكثير والكثير، والذي جعلها تبكي أحيانًا، وتسخط على الواقع أحيانًا أخرى، لقد كان هنالك شيء يتحطم في قلبها مع كل قصة جديدة تستمع لها، ولكنها قد اكتسبت خبرة وتعلمت من كل ذلك، وأهم ما تعلمته هو أن الحياة لا ترحم الطيبين، وأن المجتمع يقتل الأحلام ويطفئ الأرواح، أما عن ذاك القدر اللعين فهو يسحقك ويمزقك إن حاولت التصدي له، فلقد كانت فترة صعبة تعلمت منها الكثير، ورأت الحياة على حقيقتها، وقد جاء الوقت لكي

تنتهي تلك الفترة، فبعد مرور تلك العشرة أيام ذهبت ندى وكعادتها للمصحة في العاشرة صباحًا، ولكنها لم تتناول طعام الإفطار مع أحمد كعادتها، ولم تذهب لكي تستمع لقصة جديدة تلك المرة بل ذهبت لتشكر أحمد على مساعدتها ووجوده بجوارها كل تلك الفترة الماضية، ولتخبره بأنها لن تأتي للمصحة مرة أخرى، فلم يتبقَ لها سوى أسبوع لكي تقوم بتسليم تقريرها، وهي تريد أن تقضي هذا الأسبوع بمنزلها لكي تتمكن من تدوين كل تلك القصص التي قامت بتجميعها وكتابة كل ما تعلمته في تلك الفترة التي غيرت فيها الكثير والكثير فصمت أحمد قليلًا ولم يرد عليها حيث كانت رأسه تضج بالكثير من التساؤلات، فكيف لن يراها مجددًا؟ فهل ستبتعد حقًّا ولن يجتمعا سويًّا من جديد؟ فقاطعت ندى ذاك السيل من التساؤلات الذي هاجم رأسه، فهي كانت تعلم ما يدور بخلده، فأخبرته بأنها ستظل على تواصل معه، ولن تسمح لهما بالابتعاد عن بعضهما البعض من جديد، فلقد ملأ عالمها وانتشلها من ضياعها، ولن تفقده مرة أخرى، ولكنها فقط تحتاج

للابتعاد تلك الفترة الصغيرة لكي تنهي عملها، فلم يستطع أحمد منعها وترك لها كامل الحرية بالابتعاد متمنيًا لها التوفيق، ولكنها قبل أن ترحل طلب منها الانتظار قليلًا وذهب لمكتبه ثم عاد بعد أقل من عشر دقائق حاملًا في يده مجموعة من الأوراق وأعطاها إياها قائلًا:

- الورق دا كتبته مريضة كانت عندي هنا من كام سنة، وبما إن اليوم دا هو الأخير ليكِ هنا فلازم تختميه بحاجة تستحق فعلًا.

نظرت له ندى بعينين شاكرتين ثم ودعته ورحلت، بينما تحمل بين يدها تلك الأوراق ويحمل هو بين يده قلبها، لقد رحلت وذهبت لمنزلها وهي تسيطر عليها مجموعة من المشاعر المتناقضة، فلقد اعتادت عليه كثيرًا وتشعر بالحزن لأنها لن تلقاه تلك الفترة القادمة ولكن تلك اللحظات التي قضتها معه جعلتها تشعر بالسعادة والامتنان له، فلقد اقتحم عزلتها وتقاسم معها وحدتها، لقد رمم روحها وأعاد البهجة لحياتها، لقد ساندها ومنحها القوة، ولقد أحبته حقًّا ولكن هل هو أيضًا يشعر بذلك تجاهها؟ هل أغراه حزنها أم إنه قد نفر منه؟! فهل سيتحمل مزاجيتها المفرطة، أم إنه لن يصمد أمامها، الكثير من التساؤلات التي

ظلت تلتهم رأسها حتى وصلت لشقتها ولم تستطع أن تجد لها أي أجوبة، فاكتفت بتبديل ملابسها فور دخولها للمنزل، وأخذت ترتب بعض أثاثه وتنظفه، وبعد أن انتهت من ذلك قامت بتحضير غداءٍ لها والذي لم تتناول منه الكثير ثم جلست على سريرها الملقى بغرفتها، ثم بدأت في قراءة ذاك الورق الذي أخذته من أحمد صباحًا، بدأت تقرأ كل حرف بعناية شديدة وهي متشوقة تمامًا لقصة تلك الفتاة الغامضة التي أخبرها أحمد أنها كانت موجودة بالمصحة منذ عدة سنوات، ففتحت ذلك الورق ثم بدأت في قراءة الآتي:

- فريدة محمد عبد الرحمن، هذا هو اسمي الذي اختاره والدي لي بناءً على رغبة والدتي مها، فلقد كان يكن لها كل الحب والاحترام لقد جمعتهما قصة حب عظيمة انتهت بزواجهما وإنجابهما لي بعد عشر سنوات من عقد قرانهما، فلقد كانا على وشك فقد الأمل في إنجاب طفلٍ يكمل حياتهما، ولكن شاء الله أن يجازيهما بي على صبرهما، لقد كانا سعيدين للغاية بي فاعتنيا بي جيدًا، فأنا ابنتهم الوحيدة وأمنية ظلا يطلبانها من الله كثيرًا، لم يحرماني من شيء معنويٍّ أو ماديٍّ، لم يجعلاني أحتاج لشيء أو

لأحدٍ، فلقد كانا أصدقاء لي قبل أن يكونا والدين، لقد كانت الحياة بسيطة وجميلة عند هذا الحد، ثم فجأة بدأ كل شيء يأخذ منعطفًا آخر وذلك عند بدئي للدراسة في معهد الموسيقا، وذلك بعد إلحاحٍ طويلٍ على والدي لكي يوافق على ذلك، فلقد كنت مولعة بالموسيقا منذ صغري فانضممت للمعهد أخيرًا، وكنت أدرس العزف على الكمان ولا أعلم لما اخترت تلك الآلة تحديدًا ولكنها كانت تلمس شيئًا ما في داخلي فأوتار الكمان كانت ساحرة للغاية، فعند عزفك عليها ستشعر وكأنك تعزف على أوتار روحك، إنها تنقلنا لعالم آخر بمنتهى البساطة والاستسلام، فهي قادرة على مزج الواقع بالخيال، والحب بالكره، والألم بالأمل لتخلق من كل ذلك مزيجًا لا يمكنك مقاومته، مزيجًا يتغلغل لأعماق قلبك وروحك فيجعلك تولد من جديد، إنها رائعة لحد غريب، فهي بإمكانها أن تملأك بالحزن والفرح في آن واحد، ولا تسألني كيف، فهي بكل تلك البساطة والتعقيد، لذلك قررت العزف عليها وتعلمها وبدأ من هنا كل شيء، إنني أتذكر جيدًا أول يوم لي في المعهد

وكيف لي أن أنساه؟! وهو السبب فيما أنا عليه اليوم من صمت تام وتشتت.

لقد كان الرابع والعشرون من شهر سبتمبر حيث كان الشتاء يدق الأبواب، وكنت قد تأخرت على موعد محاضرتي الأولى، فكنت على عجلة من أمري، حتى ألحق ما تبقى منها، فدخلت للقاعة بعد أن أذن لي دكتور المادة بذلك، ثم جلست في الصف الرابع لأستطيع أن أستمع للمحاضرة جيدًا، جلست وبدأت في الإنصات جيدًا لما يقوله الدكتور، وفجأة وبتلقائية شديدة مني نظرت على يميني فرأيته يجلس هناك بجواري تمامًا، شيء ما فيه قد جذبني له، ربما ابتسامته الهادئة، أو ربما نظراته المشتتة والتي يملؤها الحزن، أو ربما ذاك الغموض الذي كان يسيطر على ملامحه فملأني بالفضول والرغبة في معرفته واقتحام أسواره، لا أعلم حقًّا ما الذي حدث لي في تلك اللحظة، ولكن كل ما أذكره هو أنني ظللت أحملق فيه بينما ترتسم على شفتيَّ ابتسامة ساذجة، وكأنني طفلة بلهاء قد وجدت لعبتها الضائعة، وأتذكر أيضًا شعوري في تلك اللحظة، لقد كان يسري في عروقي شعور من الفرح ممزوج بالفضول

والقليل من الخوف والمجازفة، ذلك الخليط العجيب من المشاعر الذي جعل قلبي ينبض وبشدة وجعل عقلي يتوقف عن التفكير، لم أستطع فهم تلك الحالة الغريبة التي سيطرت عليَّ، ولكن كل ما استطعت فهمه هو أن هنالك شيء ما سيجمعني بهذا الشخص، فهو لن يكون مجرد عابرٍ؛ بل سيكون محتلًا لي ولقلبي.

لقد علمت في تلك اللحظة بأنني سوف أحبه، نعم لقد أنبأني حدسي بذلك، ولا يمكن لحدس الإنسان أن يكذب أبدًا، وبالفعل قد بدأ كل شيء وكنت على أتم الاستعداد له، تعارفنا على بعضنا البعض من خلال المحاضرات ثم بدأنا في التواصل عبر وسائل التواصل الاجتماعي ثم تبادلنا أرقام هواتفنا، ثم بدأنا في التقرب شيئًا فشيئًا حتى أصبحنا أصدقاء بحق، كنا نتحدث حول دراستنا وما يخص محاضراتنا في بادئ الأمر، ثم بدأنا في تبادل أطراف الحديث فيما يخص حياتنا الشخصية من أهل لأصدقاء لأحلام وما نريد تحقيقه والوصول له، لقد كان يعشق الكمان مثلي، ولكنه كان يراه بمنظور مختلف عني، فهو كان يراها آلة أوتارها تعبر عن تشتت العقل وصخب الأفكار، فلقد كان دائمًا يتحدث

من منطلق العقل، وكنت أنا أتحدث من منطلق الإحساس، وهنا كان يكمن اختلافنا الواضح للعيان، ولكنني لم أنفر يومًا من ذاك الاختلاف، بل بالعكس؛ فلقد كان هذا الاختلاف سر ذاك الانجذاب بيننا، فما الفائدة حقًّا من التعامل مع من يشبهك نفس الأفكار الآراء، وكل شيء أين المغامرة والمتعة في ذلك، نعم إننا نحتاج لمن يستوعبنا ويشبه أرواحنا ولكنه أمر ممل أن تتعامل مع نسخة مطابقة لك تمامًا، فمن قال إن الاختلاف لا يولد تفاهم، على العكس تمامًا فأنا أرى أن الاختلاف شيء يدعو للتفاهم المتبادل، شيء نعيش معه مغامرة مليئة بالتجارب الجديدة ونشعر معه بالحياة من جديد، نشعر معه بالإثارة والفضول وكل ما هو بعيد كل البعد عن الملل والروتين، إنه يساعدنا على تبادل الأفكار والصفات والسلوك وحدوث التغيير وهذا ما قد حدث بالفعل بيننا، لقد كان كل منا منحازًا لأفكاره واتجاهه في بادئ الأمر، فهو كان دائم الحديث على العقل وكل ما يخصه لا يؤمن بشيء يدعى الإحساس، لا يؤمن بتلك المشاعر، يتعامل مع الأمور بجمود وبرود شديدين عندما كنت أحاول مجادلته ومحاولة إخباره بأنني أتفق معه فرؤية العقل تكون

الأصح دائمًا، ولكنه بتلك الطريقة يفوته الكثير من متاع الحياة، فإن كانت رؤية العقل هي الأصح فرؤية القلب هي الأصدق والأوضح والأكثر تأثيرًا، كنت أحاول أن أجعله يفهم بأنه ليس هنالك فائدة من أن يحيا هكذا مجرد جثة هامدة لا تشعر، نعم أعترف بأن مشاعرنا قد تجعلنا أكثر ضعفًا وتشتتًا وقد تملأنا بالكثير من الحزن والكثير من تلك الندوب القاسية التي لن يقدر الزمن على محوها أبدًا، ولكن في الأول والأخير إن شعورنا سواء كان بالفرح أم بالحزن هو مفتاحنا للعبور عبر أبواب ذواتنا فنستطيع أن نراها من الداخل، قد نجد ما يملؤنا فزعًا وخوفًا، وقد نجد ما يعطينا القوة والثبات، فعندما يبدأ المرء في الغوص بين ثنايا ذاته قد يتشتت وقد يضيع، ولكنه في النهاية إن استطاع فهم ذاته وإيجاد طريقة للتواصل معها فسيكون أكثر الناس ربحًا على الأرض، سيستطيع معرفة جوهره الحقيقي، نقاط ضعفه وعيوبه قبل نقاط قوته ومميزاته، فيصبح أكثر نضجًا وقدرة على التحمل، وأنا أعلم تمامًا أن مواجهة الذات ليست بكل تلك البساطة، فهي ستكلفنا سنوات وسنوات من التشتت والخوف والضياع، ولكن إن استطاعنا أن

نتوقف عن جلدها بعض الشيء وتقبلها كما هي بكل ما عليها من سوء، أقسم لكم أن كل شيء سيبدأ في الهدوء والتغير للأفضل، ولن يساعدنا على فعل كل ذلك إلا مشاعرنا، فالمشاعر هي الشيء الوحيد الذي سيكشف لك جوهرك الحقيقي، وسيساعدك على معرفة نفسك وإيجاد طريقة للتواصل معها، وكنت أحاول أن أجعله يستوعب كل ذلك ولكنه كان عنيدًا للغاية، كان يرفض الإنصات لي، ولكن كان هناك شيء غريب في نظراته، شيء يخبرني بأنني على حق وبأنه ليس بكل ذاك البرود والقسوة، شيء ما أخبرني بأن قلبه ما زال ينبض ولكنه يبدو أنه قد جرح من قبل لذلك لم يعد يؤمن بالحب، فهو يتخذ من العقل ستارًا ليخفي ضعفه وراءه ويتخذ من غموضه وصمته ستارًا ليخفي وراءهما حزنه وتشتته لقد كنت أعلم كل هذا، وكنت أتعجب كثيرًا من قدرتي على فهمه وفهم ما يدور بخلده، لقد كان هناك شيء غريبٌ بداخلي يولد ويندفع تجاه شيء جعلني أنجرف وراءه بطريقة تدعو للذعر والفرح في آن واحد، لقد صار يومي يكتمل برؤيته، وروحي تهدأ بمجرد الاستماع لصوته، لقد كان مثل السحر يجذبني إليه بدون رادع، وكلما حاولت

مقاومته كلما انجذبت له أكثر وأكثر وزاد تشبثي به، لقد كان قلبي خاضعًا في حضرته، نعم لقد أحببته وكان حبه أشبه بتناولك لجرعات متتالية من المخدر، فتصبح مدمنًا عليها ولا تستطيع التخلي عنها مهما حاولت، نعم لقد صرت مدمنة لكل تلك الأشياء والأماكن التي تجمعني به، أصبحت أضيع تدريجيًّا من ذاتي ولا أعرفني، فكل ما أصبحت أعرفه هو مواعيد استيقاظه ونومه، مواعيد عمله وأوقات فراغه، طعامه المفضل وموسيقاه الغريبة، أصبحت أحب ما يحبه وألعن كل ما يكرهه نعم لقد استطاع أن يحولني لنسخة مطابقة له ولم يزعجني الأمر بتاتًا، فلقد كان كل ما بي خاضعًا له بطريقة غريبة حتى أصبحت مولعة به حد الهوس والجنون، أصبحت حياتي بالكامل تتمحور عليه، لقد تطورت مشاعري تجاهه وأخذت منعطفًا كنت أعلم نهايته اللعينة منذ البداية، لقد كنت أعلم بأن الأمر سينتهي بي وحيدة مع كل ذاك القدر من الحب والمشاعر، وبأنه لن يتقاسم معي كل هذا الصخب والجنون، ولكنني استمعت لقلبي وجازفت، جازفت واستمررت في السير على ذاك المنعطف المظلم، متوهمة أنني سأقدر يومًا على جعل قلبه

ينبض لأجلي، ولكنني كنت ساذجة، نعم إنني أعترف بأنني قد أضعت سنين عمري في حب شخص كنت أعلم تمامًا أنه لن يكون لي، ولكنه قلبي، اللعنة عليه وعلى ذاك الأمل الكاذب الذي يعطينا كل شيء دفعة واحدة ثم يجردنا تمامًا من أنفسنا وأرواحنا وكل ما نملكه فيتركنا عراة في منتصف الطريق، يتركنا لكل ما هو سيئ وحزين، دون أن يعير أي اهتمام لصراخاتنا.

إنني ما زلت لليوم أتذكر تلك اللحظة التي اعترفت له بمشاعري فيها، ولم أجد منه سوى الرفض معتذرًا لي على عدم قدرته على مقاسمتي لتلك المشاعر، فأنا لم أشعر بشيء في تلك اللحظة سوى أن العالم أجمع ينهار أمام عيني، بينما أقف في ذهول تام، لقد ظللت أقف أمامه قرابة النصف ساعة محاولة استيعاب ما يحدث، ومحاولة الثبات والسيطرة على كل تلك الفوضى التي عمت على عالمي فجأة، لقد كان هنالك شيء بداخلي يريد الصراخ، شيء رفض تقبله للحقيقة وأراد الصراخ والبكاء وأن ينقض عليه في غضبٍ شديد ويطالبه بالبقاء، يطالبه بعدم تركه لي وسط كل تلك الفوضى وحدي، فأنا لن أقدر على كل تلك الذكريات

والتفاصيل، وكل ذاك الحب بقلبي، لن أقدر عليهم وحدي، فهم سيلتهمونني حية، وسيحرقونني ولن يتركوا لي سوى العذاب والتشتت، شيء ما بداخلي أراد التوسل له كي لا يتركني ولكنني لم أظهر أيًّا من هذا، فلم يظهر مني في تلك اللحظة سوى الثبات والهدوء، فلقد اكتفيت بابتسامة هادئة وصمت كاد أن يخنقني، لقد رحلت بشموخٍ يليق بانكساري معتقدة أنني سأتمكن من السيطرة على كل تلك الفوضى، ولكنني كنت مخطئة تمامًا، فمع أول جلوس لي بمفردي في غرفتي المظلمة وجد ذاتي أنهار، بكاء هستيري، ولا أرى أمامي سوى كل تلك الذكريات والأماكن التي جمعتني به، فلم يرحمني أحدٌ لا الحب ولا هو ولا حتى تلك الذكريات اللعينة، لقد كانت جرعة زائدة من الحب ظلت تقتلع روحي مني وتفزعني ليلًا، لقد فقدت شهيتي ورغبتي في الحياة، انعزلت عن الجميع واكتفيت بحزني وقلبي الذي لا يتوقف عن النزيف.

حاول والداي معرفة السبب وراء تغيري المفاجئ ذاك، فلم أعد أذهب للمعهد، لم أعد أتناول الطعام أو أجلس معهما، لم أعد أفعل شيئًا

سوى الجلوس في غرفتي والبكاء بينما أنظر للسقف وصوت الموسيقا يحجب ذاك الصوت الذي يصرخ برأسي قليلًا، فالكثير من التفاصيل والحب لشخص واحد تكون كفيلة بتمزيقه وسلب روحه منه، لقد أصبحت فتاة لا أعرفها، أصابتني لعنة الاكتئاب وظلت ملازمة لي لفترة طويلة، لقد شابت ملامحي وبهتت ابتسامتي ولم يعد بروحي سوى الخراب، لقد صرت كأرضٍ مهجورة لا حياة بها أو سلام ودام ذلك الوضع كثيرًا، انقطعت فيه جميع علاقاتي واتصالاتي بجميع من أعرفهم، حتى هو لم أعد أعلم عنه شيئًا البتة.

وبعد مرور عام على في هذا الوضع بدأت في لملمة أحزاني والنهوض من جديد بفضل والدي وبعض المقربين لي، نهضت من جديد لأنني لم أحب يومًا أن أراني بكل ذاك الضعف والتشتت، لذلك نهضت وبدأت في الرجوع لذاك العالم الخارجي ومعاودة دراستي، عدت لإكمال تلك الحياة التي لم تعد تشبهني ولم أعد أحبها، عدت لشيء أعرفه ولكنني لم أعد أنتمي له، عدت لمزاولة حياتي ودراستي وقد حصلت على عمل أيضًا كي لا يتبقى لي وقت فارغ تستطيع فيه أحزاني الاستيقاظ من

جديد، وأنا لم أرد ذلك، لم أرد أن أشعر بكل تلك الأوجاع مجددًا، لذلك كنت أقضي يومي بالكامل بين الدراسة والعمل وبعض التجمعات العائلية حتى ينتهي يومي سريعًا، واستمررت على ذاك الوضع لقرابة السنة والنصف، حتى بدأت حياتي تتحسن أخيرًا ولم أعد أحن له أو لذكرياته اللعينة، لقد اعتقدت أنني قد تجاوزته، ولكن هذا كله كان مجرد وهم، فمع أول لقاء لنا مصادفة في أحد الأماكن التي كانت تجمعنا مسبقًا، تساقطت كامل قوتي أمامي، وتذكرت كل شيء، تذكرته وتذكرت مشاعري تجاهه وتلك الليالي التي جمعتنا، تذكرت كل شيء، فحاولت الرحيل قبل أن أنهار أمامه ولكنه كان أسرع مني فوقف أمامي ومنعني عن الرحيل لقد أمسك بي وظل ينظر إليَّ ولكن تلك المرة كانت نظراته مختلفة، لقد كانت نظراته تلك المرة ممتلئة بالحب، ممزوجة بالندم، لقد كان هنالك حنين بالغ في عينيه لي، ولكنني لم أستطِع الحراك أو قول شيء لقد كنت مصدومة مما أرى أمامي ومما يحدث، ما تلك المهزلة التي تعم، ولِمَ القدر يلعب بنا بتلك الطريقة اللعينة؟! لقد كانت لحظة جنونية لا أعلم ما حدث بعدها سوى أننا قد عدنا وعادت ذكرياتنا وليالينا.

لقد أصبحت الأماكن تجمعنا من جديد، وأصبحت الحياة مغرية عن ذي قبل، فلقد اعترف لي بحبه وبأنه لم يكن يعتقد بأنه يكن لي كل ذاك القدر من الحب بقلبه، فهو لم يعلم ذلك سوى عند بعدي عنه، لقد كان يشتاق لي، فهو لم يستطع إيجاد فتاة تحتويه وتستوعب حزنه مثلي، إنه يندم على كل لحظة قضاها بعيدًا عني ويشكر ذاك القدر الذي جمعنا مصادفة من جديد، لقد تقربنا وتقاسمنا سويًّا ذاك الحب بيننا، لقد كنا نعيش لأجل بعضنا البعض وفقط، حتى قام بالتقدم لي ووافق والدي على طلب زواجه مني، لم نقِم حفل خطبة بل قررنا أن يعقد زفافنا بعد أسبوعين من تقدمه لي، وذلك في الرابع عشر من شهر نوفمبر، ثم شرع الجميع في تحضير كل ما يخص الحفل من متطلبات، لقد كنا جميعًا سعيدين بذلك وننتظر قدوم ذاك اليوم بفارغ الصبر، ولكن وللأسف قد تلاعب بنا القدر مجددًا، وتلك المرة كانت أكثر حقارة، فقبل زفافنا بثلاثة أيام وجدته يتصل بي ويخبرني بأنه أسفل المنزل ينتظرني، لقد كان الوقت متأخرًا حوالي العاشرة مساءً، ولم يكن غيري بالمنزل، فلقد كان

والداي بمحافظة الإسماعيلية يزوران جدتي المريضة، فترددت بعض الشيء قبل نزولي له، لقد كان هنالك شيء لا يطمئنني، شيء يخبرني بأن تلك الليلة لن تمضي بسلام، ولكنه ظل يلح عليَّ حتى ارتديت ملابسي ونزلت له، وبمجرد ركوبي لسيارته حتى انطلق مسرعًا بها، حاولت أن أفهم منه ما يحدث وإلى أين نحن ذاهبان ولكنه كان يكتفي بالصمت، مما زاد قلقي رهبة!

مضت ساعتان حتى توقف بسيارته أمام أحد الفنادق بالإسكندرية وطلب مني النزول، ولكنني ظللت مكاني ورفضت النزول حتى أفهم ما يحدث، فأخبرني بأنه قد حضر لي مفاجأة احتفالًا بزفافنا، وبعد الكثير من المحاولات منه خضعت له ونزلت من السيارة ثم صعدنا لإحدى الغرف بالفندق وقلبي يكاد أن يتوقف عن النبض من كثرة الشك، وتلك الأفكار اللعينة لا تتوقف عن ملء رأسي، حتى وجدتني داخل تلك الغرفة اللعينة والتي لا ضوء بها، لقد تمكن مني الفزع فحاولت الخروج سريعًا ولكنه كان أسرع مني فوجدته يقترب مني ويلامسني

بطريقة غريبة، لقد أحكم قبضته عليَّ ولم أستطع الهرب منه، ولا أتذكر شيئًا بعد ذلك سوى أنني قد استيقظت من النوم لأجدني عارية تمامًا، نعم لقد فقدت عذريتي، فتجمدت مكاني ولم أستطِع الحراك أو الصراخ، فقط أنهار وأبكي في صمت، حاولت إيجاده أو الاتصال به ولكنني لم أجده، حاولت لملمة أشلائي وعدت للقاهرة جسدًا بلا روح، حاولت الوصول له بشتى الطرق ولكنني لم أجده حتى جاء يوم زفافي، فأتى الجميع إلا هو، ثم علم والداي بما حدث فلم يتحمل أبي سماعه للأمر فسقط أمام عيني وتوفي بسكتة قلبية، ثم لحقت به والدتي بعد وفاته بأسبوع، لقد رحل الاثنان وتركاني وسط تلك الفوضى وحدي، لقد كانت روحي وقلبي ينزفان بدون توقف، فأصبحت أتعاطى الهيروين أملًا في أن يتوقف ذاك النزيف والألم بداخلي، ولكن كل محاولاتي لإخماد تلك النيران بداخلي قد باءت بالفشل حتى ألقى بي أحد أقاربي هنا في هذه المصحة لكي أتعالج، يا له من أحمق! فحتى إن تعالجت من الإدمان فكيف لي أن أشفى من كل تلك الأحزان والأوجاع

بداخلي؟ فأنا هنا منذ ثلاث سنوات وما زالت تلك الجروح بروحي تنزف وتصرخ ولا أحد يفهم، فأصبحت لا أتحدث أو أتعامل مع أحد حتى طلبت من د/ أحمد أن يأتي لي بتلك الأوراق وبذلك القلم الذي أكتب لكم به الآن، وكم كان سعيدًا بفعله ذلك، فأخيرًا وبعد صمت دام لثلاث سنوات سيسمع حكايتي، ولكنني آسفة يا أحمد، فعند انتهائك من قراءة تلك الأوراق لن يكون لوجودي أثر، فأنا سأرحل اليوم لوالديَّ، فأنا أشتاق لهما كثيرًا وأريد أن أخبرهما بما حدث لي، وبما فعله ذاك الوغد بروحي وقلبي، فأنا أريد أن أريهما ذاك الظلام الذي أصبح يملأ روحي، وتلك الأحزان والأوجاع التي لا تتوقف عن النزيف، فأنا أريد أن ألقي نفسي بين أحضان أمي، فلعل تلك الأصوات برأسي تهدأ، ولعل تلك الأشباح التي تطاردني تسكن، فلعل دفأها يكون قادرًا على رحمتي من تلك الكوابيس التي تفزعني ليلًا ونهارًا، فلعلها تفهمني وتستوعبني بدلًا من ذاك العالم الموحش الذي لم يرحمني ولم يرحم نقائي، فأنا لم أعد أريد تلك الحياة، ولم أعد أريد هؤلاء البشر، فأنا

أمقتهم جميعًا، وأمقت ذاتي، وأمقت ذاك القدر اللعين الذي لم يأت لي سوى بالعذاب والخراب.

* * *

لقد كانت عقارب الساعة تشير للرابعة عصرًا، بينما تجلس ندى أمام حاسوبها لتنتهي من تدوين جميع تلك القصص التي استمعت إليها والتي ختمتها بقصة فريدة التي أعطاها أحمد لها منذ خمسة أيام، ففور انتهائها من قراءتها حتى استيقظت في اليوم التالي لتغلق هاتفها تمامًا من جديد لتهرب من العالم والجميع، ومنذ تلك اللحظة وهي تستيقظ صباحًا لترتشف فنجانًا من القهوة بشرفتها كعادتها، ثم تقضي يومها بالكامل أمام حاسوبها تدون تلك القصص وكل ما تعلمته، بينما يتمزق قلبها للمرة المائة وهي تتذكرهم جميعًا، وعلى الأخص مريم، كريم وفريدة، هؤلاء الثلاثة الذين لم يرحمهم القدر مثلما يفعل مع الجميع، ولم تشفق عليهم الحياة، فجميعهم وغيرهم كثيرًا قد عانوا باختلاف ما مر به كل منهم، ولكن جميعهم في نهاية المطاف قد ذاقوا مرارة الفقد وعذاب الحب وخداع تلك الآمال الكاذبة التي تعلقوا بها، فجميعهم قد أذلتهم

الحياة والتهمت قلوبهم الآلام، وكان ذنبهم الوحيد في كل ذلك هو أنهم قد أحبوا من أعماق قلوبهم، وتعاملوا مع الحياة بعفوية تامة، ولم يعلموا بأنها مخادعة تقتل كل ما هو طيب وجميل وتلقائي، فهي لا تقدر الشرفاء ولا يسلم منها الأنقياء فهي حقيرة لذاك الحد الذي قد توهمك فيه بالسعادة بينما هي تطعنك من الخلف ثم تتركك وحيدًا تنزف بين الطرقات، تتقاذفك الرياح وتلتهمك الذئاب دون أن تهتم لصرخاتك أو آهاتك، فجميعنا نتعرض للفقد والخذلان فننكسر ونشعر بالحزن، ولكن كثرة الخذلان والانكسارات المتتالية تحولنا تدريجيًّا لأشخاص لا نعلم عنها شيئًا، أشخاص لطالما حاربنا كي لا نصبح عليها، ولكن تلك الانكسارات تملأ قلوبنا بمئات الجروح التي لا تتوقف عن النزيف فتوقظ تلك الوحوش الخامدة بداخلنا وتجعلنا أشخاصًا أشد قسوة وأكثر لا مبالاة، وهذا ما تريده منا الحياة، أن نصبح نسخًا مطابقة لهؤلاء المجرمين الذين حطمونا وسحقونا وإن امتلكت الشجاعة لمقاومتها والاحتفاظ بنقاء قلبك فستجعلك تعيش في صراع أبديٍّ بين قلبك وعقلك، فتصبح ممزقًا بين كل شيء بلا مأوى أو هدف، لا تجد ما

يرضيك أو يخفف من آلامك، ولا تجد من ينتشلك أو يربت على كتفك، ففي الحقيقة أنت لن تجد سوى ذاتك وحيدًا مشتتًا أمام كل تلك الآلام وذاك المجتمع الذي لن يرحمك أيضًا، فهو يدفعك دفعًا نحو القاع ويملؤك بشتى الأمراض النفسية من خوف واكتئاب وغيره، ثم يتخلى عنك ويدعوك بالمختل عقليًّا، فتفقد ذاتك وشغفك فلا تعد الأضواء تدهشك ولا تعد الألوان تفرحك فتصبح منعزلًا تعيسًا لا تغريك الحياة، فتقرر تخليص ذاتك من كل ذلك بالانتحار، مثلما فعلت فريدة، ولكن هل هذا هو الحل الأمثل لكل تلك الآلام والأوجاع؟ لا أعتقد ذلك؛ فأنت بتلك الطريقة تتخلص من جحيم بالدنيا لتذهب لجحيم آخر بالآخرة أشد قسوة وعذابًا، وفي الحقيقة أيضًا إنني لا ألقي اللوم على من قام بالانتحار، ولا ينبغي على أحدٍ منا فعل ذلك أيضًا، فهم لم يجدوا من ينتشلهم أو يشعر بهم، فلقد كانوا يصرخون من الألم ولم يسمعهم أحد فالانتحار جريمة لا ينبغي علينا ارتكابها، ولكن في الحقيقة الجريمة الحقيقية هي تلك التي تتمثل في تركنا لهؤلاء الشباب دون أن نعلم ما العوامل التي دفعتهم لفعل ذلك، فنحن نكتفي فقط

بمشاهدتهم يعانون ثم نجلدهم ونلعنهم عندما يقررون التخلص من الحياة، فجميعنا من مجتمع يدعي المثالية، وآباء لا يستمعون لأبنائهم وتشعرهم بالفشل، وأحبة تكسر القلوب وتطفئ الروح، نتحمل ذنب هؤلاء فنحن من دفعناهم دفعًا نحو ذاك المستنقع المظلم ونحن من تسببنا لهم في كل تلك المعاناة والآلام التي التهمتهم على مهل وأحرقتهم ببطء، فنحن المجرمون الحقيقيون هنا، ولا أعتقد بأن الله سيسامحنا على فعلتنا تلك.

* * *

أنهت ندى كلماتها الأخيرة تلك وهي تقوم بطباعة تقريرها لتجد الساعة تشير للسابعة مساءً وبينما دق جرس شقتها فذهبت لترى من الطارق وهي تحمل تلك الأوراق التي قامت بطباعتها بين يديها، وكانت صدمتها عندما فتحت الباب لتجده واقفًا أمامها، نعم إنه أحمد لقد كانت تريد إلقاء نفسها بين أحضانه، لقد اشتاقت له ولصوته، ولكنها ظلت واقفة أمامه تحاول استيعاب ما يحدث، فنظر لذاك الورق بيدها ثم نظر إليها قائلًا: خلصتِ تقريرك؟ وأعتقد كدا إني جيت في وقتي الصح.

فردت باسمة: انت بتعمل إيه هنا دلوقتي؟

- مافيش، قُلت زمانك عمالة تعيطي من اللي بتكتبيه فقُلت آجي أواسيكِ.

فقالت بطريقة طفولية: على فكرة ما كنتش باعيط.

- طب امسحي الدموع اللي على وشك الأول وبعد كدا ابقي اتكلمي!

فضحك كلاهما ثم قاطع أحمد ذاك الضحك قائلًا: ندى ومن غير مقدمات كتير، أنا باحبك، ولو موافقة هاروح بكرة معاكِ وانت بتسلمي التقرير واطلب إيدك من أستاذ حسن.

فردت قائلة بينما تملك الخجل منها وبنبرة مازحة: إيه دا فيه إيه؟! انت مين؟

- أنا مين! لا أبدًا ولا حاجة، أنا بتاع الدليفري وغلطت في الشقة، سلام.

- استنى بس، انت كل حاجة كدا تقلبها هزار!

- دا أنا برضه؟

فصمت ندى قليلًا ثم قالت: أحمد بجد انت مش فاهم حاجة، أنا اللي اتعلمته الفترة اللي فاتت كان صعب وأثر فيَّ أنا مليانة حزن وحاسة إني باتعرف على نفسي من جديد، أنا مش هانكر شعوري تجاهك بس أنا خايفة أظلمك معايا، خايفة إنك ما تستحملنيش وتسيبني.

- من غير ما تكملي يا ندى، أنا فاهم كل اللي انتِ مريتِ بيه وعايزة تقوليه، وصدقيني أنا عمري ما هاسيبك، أنا رجعت مصر عشانك، أنا مافيش بنت قدرت تاخد مكانتك في قلبي كل السنين دي، عشان كدا أنا عمري ما هاتخلي عنك ولا عمري هاسيبك.

صمت كلاهما قليلًا حتى قطع أحمد ذاك الصمت مازحًا مرة أخرى: ها هنفضل واقفين قدام باب الشقة كدا كتير ولا إيه؟

فضحكت ندى قائلة: يلا اتفضل روح عشان تلحق تيجي لي الصبح بدري عشان أروح مقر الجريدة.

- أفهم من كدا إنك موافقة يعني؟

فابتسمت ثم قالت بخجل: آه... موافقة.

❋ ❋ ❋